جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

الغَيْرَةُ فِي ضَوْءِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المُطَهَّرَةِ

إعداد الأستاذ الدكتور

عماد الدين فتحي عبد العظيم

أستاذ الحديث وعلومه المساعد بجامعة الجوف
والأستاذ المساعد بقسم الحديث وعلومه بكلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية – جامعة الأزهر

مستلة من

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثامن والثلاثون،
لعام ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٩/٦١٥٧
والترقيم الدولي I.S.S.N 2636-2481

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

ملخص البحث
الغَيْرَةُ فِي ضَوْءِ السُنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المُطَهَّرَةِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ)، ثم أما بعد:

فإن الأخلاق في الإسلام لها مكانة عظيمة عالية، ومنزلة كريمة سامية، وقد اهتم الإسلام بالأخلاق اهتماما بالغا ظهر ذلك في كل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله – تعالى – بل تَجَلَّى واضحا في كل موقف للنبي (ﷺ) وصحابته الكرام في عهد الدعوة المكي أو عهدها المدني.

ومن الأخلاق الفاضلة التي حث الإسلام عليها، ورغب في التخلق بها، وأكد على ضرورة وجودها في خلق المسلم لا سيما في زمان الفتن، وهجر الكتاب والسنة، والجهل بأحكام الدين والشريعة، وانتشار المعاصي والموبقات، وذيوع الشرور والمفاسد، وبتحقق وجوده تتجلى صفة الخيرية متحققة لأمة النبي (ﷺ) كما أراد الله – تعالى – لها، والخُلُقُ مَحِلُّ الدراسة في هذا البحث "**خُلُق الغَيْرَة**"، وأرجو أن تكون كلماته صرخة لإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين فكما قيل: صار هذا الخلق بين أهله غريبا، والتخلق به عجيبا، وفي تركه والتخلي عنه ذهاب للدين والمروءة.

وعليه فقد استخرت الله – تعالى – وتوكلت عليه، واستعنت به في كتابة هذا البحث بعنوان: ﴿ **الغَيْرة في ضوء السنة النبوية المطهرة** ﴾

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

- **أما المقدمة:** فضمنتها بعد الحمد والثناء بيان أهمية الموضوع والتي كانت سببا في اختياري له، وخطة البحث.

• **وأما المبحث الأول:** فيدور حول تعريف الأخلاق، وارتباطها بغيرها (العقيدة – العبادات – الاقتصاد والتجارة – الأسرة والتربية).

وأما المبحث الثاني: فيدور حول "**الغَيْرة**" من حيث: تعريفها، وحث الإسلام عليها، وبيان أقسام الغَيْرة.

• **وأما المبحث الثالث:** فيدور حول: نماذج للغَيْرَة من سيرة النبي (ﷺ)، وأزواجه (ﷺ) والصحابة الكرام.

• **وأما الخاتمة:** فتشمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات الافتتاحية: الغيرة – الضوء – السنة – المطهرة.

إعداد الأستاذ الدكتور

عماد الدين فتحي عبد العظيم

أستاذ الحديث وعلومه المساعد بجامعة الجوف والأستاذ المساعد بقسم الحديث وعلومه بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية – جامعة الأزهر

RESEARCH SUMMARY

JEALOUSY IN THE LIGHT OF THE PROPHETIC SUNNAH

Praise be to Allah and peace and blessings be upon the Messenger of Allah - peace be upon him, then either: Ethics in Islam has a great high status, and a dignified status of supreme, and Islam has been deeply concerned with morality that appeared at every stage of the call to God - Almighty - but manifested clearly in every position of the Prophet and his companions in the era of the call Mecca or Medina. It is a virtuous morality that urged Islam, and wanted to create, and stressed the need for its existence in the creation of a Muslim, especially in the time of sedition, abandonment of the book and the Sunnah, ignorance of the provisions of religion and Sharia, and the spread of sins and debacles, and the dissemination of evil and evil, and to achieve its existence is manifested charity attribute to the nation The prophet as God Almighty wanted her, and creation is the subject of study in this research "the creation of jealousy," and I hope that his words a cry to wake the sleepers and alert the oblivious as it was said: This creation has become a stranger, and created by wonder, and leave him and abandon him go to religion and virility. Accordingly, Istkhtr God and trusted him, and used him in the writing of this research Entitled "**Jealousy in the Light of the Prophetic Sunnah**" The research was divided into an introduction, three sections, and a conclusion. As for the introduction: I included in it after praise and praise the importance of the subject, which was the reason for my

choice, and the research plan. The first topic revolves around the definition of ethics, and its relationship with others (belief - worship - economy and trade - family and education). The second topic revolves around "jealousy" in terms of: definition, urging Islam, and the statement of jealousy sections. The third topic is about models of jealousy of the Prophet's biography, his husbands and companions

Conclusion: It includes the most important findings of the research.

Key words: Jealousy – Light – Sunnah – Prophetic.

Prof. Dr.

Imad Al-Din Fathi Abdel-Azim

Assistant Professor of Hadith and Sciences, Al-Jouf University, Saudi Arabia and Assistant Professor of Hadith and Sciences, College of Fundamentals of Religion and Islamic Call in Menoufia - Al-Azhar University

E mail: emadalsayed.adv@azhar.edu.eg

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده (ﷻ) ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله – تعالى – من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ولن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له "الأول والآخر، الظاهر والباطن، القادر القاهر شكرا على تفضله وهدايته، وفزعا إلى توفيقه وكفايته، ووسيلة إلى حفظه ورعايته، ورغبة في المزيد من كريم الآئه وجميل بلائه، وحمدا على نعمه التي عظم خطرها عن الجزاء، وجَلَّ عددها عن الاحصاء(١) فتح قلوب العلماء بمفاتيح الإيمان وشرح صدور العرفاء بمصابيح الإيقان(٢)، وأشهد أن سيدنا ونبينا وقدوتنا محمدا رسول الله (ﷺ) البشير النذير الداعي إليه بإذنه السراج المنير، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله عليه في كل ساعة ولحظة على دوام الأبد ما لا يدخل تحت العدد، ولا ينقطع عنه المدد، وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين والملائكة المقربين، وعلى أزواجه، وذريته، وأصحابه، وعترته(٣)، وعلى متبعي سنته، وأهل إجابة دعوته بِمَنِّهِ وفضله وسعة رحمته(٤).

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ١/١.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان محمد القاري ٣٩/١.

(٣) عترة الرجل: أقرباؤه من ولد وغيره. قلت: وفي ذلك تفصيل لأهل العلم. لسان العرب لابن منظور ٥٣٨/٤

(٤) شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي ١/١ بتصرف يسير.

أما بعد:

فإن الأخلاق في الإسلام لها مكانة عظيمة عالية، ومنزلة كريمة سامية، وقد اهتم الإسلام بالأخلاق اهتماما بالغا ظهر ذلك في كل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله – تعالى – بل تَجَلَّى واضحا في كل موقف للنبي (ﷺ) وصحابته الكرام في عهد الدعوة المكي أو عهدها المدني.

والمتأمل في كتاب الله – تعالى – والناظر نظرة الفاحص المتأني في السنة النبوية المطهرة ليقف على الكثير من الآيات الكريمة القرآنية، والأحاديث النبوية في فضل "الأخلاق" ومكانتها، وأهميتها في عالم المثال وعالم التطبيق، **فالقرآن الكريم** في حد ذاته – من خلال آياته وما اشتملت عليه من الأوامر والنواهي، والحدود والأحكام، والحلال والحرام – قد راعى جانب الأخلاق وحازت في ما ذكر جانبا كبيرا لدرجة أنه يصح لنا أن نقول بأن القرآن "كتاب أخلاق".

بل إننا نجد عند النظر أن الله – تعالى – قد جعل الهدف الأسمى، والمقصد الأعظم من بعثة النبي (ﷺ) تقويم الأخلاق، وإتمام مكارمها، فَبَيَّن في غير موضع من القرآن الكريم أن الهدف من البعثة ابتداءا بعد توحيد الله – تعالى – التأكيد على جانب "التزكية "و "التعليم "ولا يمكن الوصول لتزكية النفس وتقويمها إلا بجميل الأخلاق ومحاسن الصفات.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيم ﴾ (١).

(١) سورة البقرة الآية رقم (١٢٧).

وقال – تعالى–: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾(١)، وقال – تعالى –: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾(٢)، وقال – تعالى – ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾(٣)، وعندما أثنى الله – تعالى – على نبيه (ﷺ) عظَّمَ شأنه، ورفع قدره في القرآن الكريم بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٤).

وكذلك عندما ندور في القرآن الكريم، ونطوف في بستان قصص الأنبياء والمرسلين نجد أن الثناء عليهم موصول، وعلو شأنهم، ورفعة قدرهم مرتبط بالأخلاق التى تميزوا بها كالصدق وحفظ الوعد، والأدب مع الوالدين والبر بهما والإحسان إليهما، والصبر على الأذى، والتأني، والغيرة على المحارم، وكثرة التوبة والرجوع إلى الله، والرضا بالقضاء، واحتساب الأجر والثواب فيما نزل من البلاء، وغير ذلك من مفردات الأخلاق التى ارتبطت ارتباطا وثيقا بسيرة الأنبياء والمرسلين، وشيم المؤمنين الصالحين.

أما في السنة النبوية المطهرة: فالحديث عن الأخلاق لا يكاد ينتهى حيث تعددت الأحاديث التى تؤكد على ما أعده الله – تعالى – لذوى الأخلاق الفاضلة من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، وثقلها في ميزان العبد يوم القيامة حتى إنها قد

(١) سورة البقرة الآية رقم (١٥١).
(٢) سورة آل عمران الآية رقم (١٦٤).
(٣) سورة الجمعة الآية رقم (٢).
(٤) سورة القلم الآية رقم (٤).

ارتقت وصارت تعادل صاحب الصلاة الذي لا يفتر من القيام والوقوف بين يدي مولاه، وصاحب الصيام الذي لا يفتر عن مواصلة الصيام طمعا في عفو الرحمن ورضاه، وكون الأخلاق سبيلا موصلا للجنان، وشدة القرب من الرحمن، **كما في** حديث أبي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) قال سمعت النبي (ﷺ) يقول: ﴿ما من شَيْءٍ يُوضَعُ في الْمِيزَانِ أَثْقَلُ من حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ والصَّلَاةِ﴾(١).

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث النَّوَّاسِ بن سمْعَانَ قال: ﴿سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) عن الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فقال: الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ ما حَاكَ في صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه الناس﴾(٢).

قال النووي (رحمه الله) **معلقا:** قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق، ومعنى حاك في صدرك أي تحرك فيه وتردد ولم ينشرح له الصدر وحصل في القلب منه الشك وخوف كونه ذنبا.(٣)

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن – كتاب – الأدب – باب – حسن الخلق – ٢٥٣/٤ رقم (٤٧٩٩)، من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء به، بلفظ مختلف، والترمذي في الجامع – كتاب – البر والصلة والآداب – باب – ما جاء في حسن الخلق – ٣٦٣/٤ رقم (٢٠٠٣) من طريق أم الدراداء عن أبي الدرداء به، بلفظه، وقال: حديث غريب من هذا الوجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب – البر والصلة والآداب – باب – تفسير البر والإثم – ١٩٨٠/٤ رقم (٢٥٥٣) من طريق جبيبر بن نفير عن أبيه به.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١١١/١٦.

وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو (ﷺ) أن رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ فِي مَجْلِسٍ ﴿أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُهَا قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَحْسَنُكُمْ أَخْلاقًا﴾(١).

قال المُنَاوي (رحمه الله) **معلقا:** أي أكثركم حسن خلق وهو اختيار الفضائل وترك الرذائل، وذلك لأن حسن الخلق يحمل على التنزه عن الذنوب والعيوب، والتحلي بمكارم الأخلاق من الصدق في المقال والتلطف في الأحوال والأفعال، وحسن المعاملة مع الرحمن والعشرة مع الإخوان، وطلاقة الوجه، وصلة الرحم، والسخاء، والشجاعة، وغير ذلك من الكمالات.(٢)

وأخرج أبو داود في السنن من حديث أبي أُمَامَةَ (ﷺ) قال: قال رسول اللَّهِ (ﷺ) ﴿أنا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ في رَبَضِ(٣) الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كان مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ في وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كان مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ في أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ﴾(٤).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه – باب – حسن الخلق – ذكر البيان بأن من حسن خلقه كان في القيامة ممن قرب مجلسه من المصطفى (ﷺ) ٢/٢٣٥ رقم (٤٨٥) من طريق محمد بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو به.

(٢) فيض القدير للمناوي ٢/٥٢٩.

(٣) قال ابن الأثير: بفتح الباء ما حولها خارجا عنها تشبيها بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/١٨٥ مادة "ربض".

(٤) أخرجه أبو داود في السنن – كتاب – الأدب – باب – في حسن الخلق – ٤/٢٥٣ رقم (٤٨٠٠)، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/٢٤٩ رقم (٢٠٩٦٥)، والطبراني في المعجم الكبير ٨/٩٨ رقم (٧٤٨٨)، والطبراني في المعجم الأوسط ٥/٦٨ رقم (٤٦٩٣) كلهم من طريق سُلَيْمَانُ بن حَبِيبٍ الْمُحَارِبِيُّ عن أبي أمامة به.

وأخرج البخاري في صحيحه من طريق مسْرُوقٍ قال: ﴿كنا جُلُوسًا مع عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو يُحَدِّثُنَا إِذْ قال لم يَكُنْ رسول اللَّهِ (ﷺ) فَاحِشًا ولا مُتَفَحِّشًا وَإِنَّهُ كان يقول: إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا﴾(١).

ومن الأخلاق الفاضلة التى حث الإسلام عليها، ورغب في التخلق بها، وأكد على ضرورة وجودها في خلق المسلم لا سيما في زمان الفتن، وهجر الكتاب والسنة، والجهل بأحكام الدين والشريعة، وانتشار المعاصي والموبقات، وذيوع الشرور والمفاسد، وبتحقق وجوده تتجلى صفة الخيرية متحققة لأمة النبي (ﷺ) كما أراد الله – تعالى – لها، والخُلُقُ مَحِلُّ الدراسة في هذا البحث "**خُلُق الغَيْرَة**"، وأرجو أن تكون كلماته صرخة لإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين فكما قيل: صار هذا الخلق بين أهله غريبا، والتخلق به عجيبا، وفي تركه والتخلي عنه ذهاب للدين والمروءة.

وعليه فقد استخرت الله – تعالى – وتوكلت عليه، واستعنت به في كتابة هذا البحث بعنوان ﴿**الغَيْرة في ضوء السنة النبوية المطهرة**﴾.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

- **أما المقدمة:** فضمنتها بعد الحمد والثناء بيان أهمية الموضوع والتي كانت سببا في اختياري له، وخطة البحث.
- **وأما المبحث الأول:** فيدور حول تعريف الأخلاق، وارتباطها بغيرها (العقيدة – العبادات – الاقتصاد والتجارة – الأسرة والتربية).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب – الأدب – باب – حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل – ٥/٢٢٤٥ رقم (٥٦٨٨)، ومسلم في صحيحه – كتاب – الفضائل – باب – كثرة حيائه – ٤/١٨١٠ رقم (٢٣٢١)، كلاهما من طريق مسروق عن عبد الله بن عمرو بن العاص به.

- **وأما المبحث الثاني:** فيدور حول "الغَيْرة" من حيث: تعريفها، وحث الإسلام عليها، وبيان أقسام الغَيْرة.
- **وأما المبحث الثالث:** فيدور حول: نماذج للغَيْرَة من سيرة النبي (ﷺ)، وأزواجه (ﷺ) والصحابة الكرام.
- **وأما الخاتمة:** فتشمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وإني أتوجه إلى الله العلي القدير بالدعاء والرجاء أن يوفقني إلى ما يحبه ويرضاه وأن يجعل ما أكتب في ميزان الحسنات، وسببا من أسباب دخول الجنات، وأن يصفح بسببه عن الذنوب والسيئات، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول
الأخلاق

تعريفها، وارتباطها بغيرها

تعريف الأخلاق

لغة: قال ابن منظور: والخُلُق: السجِيَّة، والخُلق بضم اللام وسكونها وهو الدين، والطبع والسجية، **ثم قال:** وحقيقته: أنه صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها، ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة، وأوصافها، ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع.([1])

وقال الزَّبيدي في تاج العروس: والخُلُقُ بالضَّمِّ وبضَمَّتَيْنِ – أي بضم الخاء فقط دون اللام أو بضم الخاء واللام – السَّجيَّةُ وهُو ما خُلِقَ عليهِ من الطَّبْع، ومنه حَدِيثُ عائِشَةَ (رضي الله عنها) كانَ خُلُقُه القُرآنَ[2] أي كانَ مُتَمَسِّكاً بهِ وبِآدابِهِ وأَوامِرِهِ

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٨٦/١٠، وما بعدها، وابن منظور هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الفراء النحوي مولى بني أسد كوفي نزل بغداد، وروى عن قيس بن الربيع، وحازم بن الحسين البصري وعلي ابن حمزة الكسائي وغيرهم، وروى عنه سلمة بن عاصم ومحمد بن الجهم السمري وغيرهم، ت ٢٠٧هـ ينظر تهذيب الكمال للمزي ١٨٦/١١ رقم (٣٥٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٩١/٦ رقم (٢٤٦٤٥)، والطبراني في المعجم الأوسط ٣٠/١ رقم (٧٢).

ونَواهِيه، وما يَشْتَمِلُ عليه من المَكارِمِ والمَحاسِنِ والألطافِ، ثم قال: قالَ ابنُ الأعْرابِيِّ: الخُلُقُ المُرُوءةُ، والخُلُقُ الدِّينُ.(١)

وقال ابن فارس: الخاء واللام والقاف أصلان أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء، ومن ذلك الخلق وهي السجية لأن صاحبه قد قدر عليه، وفلان خليق بكذا وأخلق به أي ما أخلقه أي هو ممن يقدر فيه ذلك، وأما الأصل الثاني: فصخرة خلقاء أي ملساء.(٢)

وقال الراغب: والخَلْقُ والخُلْقُ في الأصل واحد، ولكن خص الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلْق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة.(٣)

قلت: يظهر من خلال التعريف اللغوي أن لفظ "الخُلُق "يدور حول ما جُبِلَ عليه الإنسان غالبا من سجايا وصفات حسنة أوسيئة، منها ما يتعلق بالآداب والفضائل التى منها ما هو فطري جبلي، ومنها ما هو مكتسب يتحصل عليه الإنسان من اتباعه الأوامر، واجتنابه النواهي، ومنها القبيح السيء، وهو غالبا انعكاس لهيئة الباطنة.

تعريف الأخلاق اصطلاحا

تعددت أقوال العلماء في تعريف "الأخلاق" وبيان ماهيتها، **ومنها:**

١- ما قاله "الجُرْجَاني "في "التعريفات": الخُلُق بالضم: هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بيسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإذا كانت الهيئة

---

(١) تاج العروس للزبيدي ٢٥٧/٢٥، وما بعدها، وهو: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، المتوفى: ١٢٠٥هـ.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢١٣/٢، وما بعدها بتصرف يسير.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ٢٩٧/١، وهو العلامة الراغب الأصفهاني المتوفى في حدود ٤٢٥هـ.

بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خُلُقًا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خُلُقًا سيئا، وإنما قلنا إنه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال نادرا لحالة عراضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكذا من تَكَلَّفَ السكوت عند الغضب بجهد أو دربة(١) لا يقال خلقه الحلم، وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد مال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث حياء أو رياء.(٢)

قلت: يظهر لي من خلال كلام "الجرجاني "أن الأخلاق وكونها هيئة راسخة أي أنها ثابتة لازمة للإنسان نفسيا وعقليا ومجملة بمتابعة الشرع لا تنفك عنه في حالة الأخلاق الفاضلة كالبذل والعطاء والشجاعة وغير ذلك ولا يخالف ظاهرا شيئا من الهيئة الراسخة عنده باطنا إلا لعارض شديد، ومانع أكيد والعكس صحيح كذلك، وأحسب أن هذه الهيئة الراسخة منها ما لم يثبت له إلا بعد مجاهدة وتقويم كما في قوله – تعالى – ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** ﴾ ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا** ﴾ ﴿ **وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾(٣).

قال الدكتور محمد العيدروس معلقا: "الأخلاق هيئة ثابتة راسخة مُستقِرة في نفْس الإنسان غير عارضة طارئة، فهي تُمثِّل عادة لصاحبها تتكرَّر كلما حانت فرصتها، فإن كان الصفة عارضة فليست جديرة بأن تُسمَّى خُلُقًا، فمَن بذل المال مرة أو مرتين لا يقال: إنه كريم سخي، كما ينبغي عدم التكلف في صدور الفعل بحيث يَصدُر بشكل تلقائي من غير تردُّد وبصورة عَفْوية، لا تخضع للحساب

(١) دربة عادة وجرأة على الحرب، وكل أمر، وقد درب بالشيء يدرب إذا اعتاده وضري به تقول: ما زلت أعفو عن فلان حتى اتخذها دربة. لسان العرب لابن منظور ٣٧٤/١.

(٢) التعريفات للجرجاني ٣٢٤/١، وما بعدها.

(٣) الآيات من ٧ إلى ١٠ من سورة الشمس.

والمراجعة وتقليب الرأي وإعمال الفِكر، ولا يقصد بذلك أن يكون العمل لا إراديا، وإنما المقصد من ذلك أنه من شدة تلقائية العمل وتسارع أدائه أن تكون مساحة التفكير في الأداء ضئيلة بحيث تتلاشى أمام سرعة العمل"(١).

٢- ومنها: ما نقله "الغزالي "في الإحياء عن "الجرجاني" مع زيادات عليه قال: فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا، وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم، فههنا **أربعة** أمور: **أحدها:** فعل الجميل والقبيح، **والثاني:** القدرة عليهما، **والثالث:** المعرفة بهما، **والرابع:** هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح، وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحد، وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء، وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل فالخلق إذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها

(١) نقلا عن موقع الدكتور / محمد العيدروس في حديثه عن الأخلاق.

الباطنة، وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث"([1]).

٣- **ومنها: ما قاله صاحب "عون المعبود "نقلا عن "ابن رسلان": أن** الخُلُق هو عبارة عن أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي منقسمة إلى محمودة، ومذمومة فالمحمودة منها صفات الأنبياء والأولياء والصالحين كالصبر عند المكاره، والحلم عند الجفا، وحمل الأذى، والإحسان للناس، والتودد إليهم، والرحمة بهم والشفقة عليهم، واللين في القول، ومجانبة المفاسد والشرور وغير ذلك.([2])

٤- **وقال ابن مسكويه:** "الخلق: حال للنفس، داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويَّة، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيًّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكًا مفرطًا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتمُّ ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالرويَّة والفكر، ثم يستمر أولًا فأولًا، حتى يصير ملكة وخلقًا([3]).

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٥٣/٣.

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي ٢٨٦/١٢، وهو الشيخ المحدث أبو عبد الرحمن شرف الحق العظيم آبادي محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر المتوفى ١٣٢٩هـ.

(٣) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ٤١، وهو: أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، أبو علي المتوفى ٤٢١هـ.

٥- **ومن التعريفات اصطلاحا: ما ذكره "عماد الهلالي** "في مقدمة تحقيقه لكتاب "تهذيب الأخلاق "لابن مسكويه "قال: "والأخلاق علم بأصول يعرف به حال النفس من حيث ماهيتها، وطبيعتها، وعلة وجودها، وفائدتها، وما هي وظيفتها التي تؤديها، وما الفائدة من وجودها، وعن سجاياها وأميالها وما تنقلها بسبب التعاليم عن الحالة الفطرية"(١).

٦- **وقال أيضا:** "علم الأخلاق: هو العلم الذي يبحث فيما ينبغي أن يكون عليه الإنسان وماذا ينبغي أن يعمل، وبأي شيء يشكل حياته"(٢).

٧- **قال الطاهر بن عاشور في تفسيره لسورة "الشعراء":** "خُلُقُ بضمتين، فهو السجية المتمكنة في النفس باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر، وقد فُسّر بالقوى النفسية وهو تفسير قاصر فيشمل طبائع الخير وطبائع الشر، ولذلك لا يُعرَف أحدُ النوعين من اللفظ إلا بقيد يضم إليه فيقال: خُلُق حسَن ويقال في ضده: سوء خُلُق، أو خُلُق ذميم، فإذا أطلق عن التقييد انصرف إلى الخُلُق الحسن، **ثم قال** والخُلُق في اصطلاح الحكماء: ملكة أي كيفية راسخة في النفس أي متمكنة من الفكر تصدر بها عن النفس أفعال صاحبها بدون تأمل، فخلق المرء مجموع غرائز أي طبائع نفسية مؤتلفة من انطباع فكري إما جبليّ في أصل خلقته، وإما كسبي ناشىء عن تمرّن الفكر عليه، وتقلُّده إياه لاستحسانه إياه عن تجربة نفعه، أو عن تقليد ما يشاهده من بواعث محبة ما شاهد، وينبغي أن يسمى اختياراً من قول أو عمل لذاته، أو لكونه مِن سيرة من يُحبه ويقتدي به ويسمى تقليداً، ومحاولته تسمى تخلقاً، فإذا استقر وتمكن من النفس صار سجية له يجري أعماله على ما تمليه عليه وتأمره به نفسه بحيث لا يستطيع ترك العمل

(١) مقدمة تحقيق كتاب " تهذيب الأخلاق " لابن مسكويه، تحقيق: عماد الهلالي صـ ١٢.
(٢) المصدر السابق نفسه.

بمقتضاها، ولو رام حملَ نفسه على عدم العمل بما تمليه سجيته لاستصغر نفسه وإرادته وحقر رأيه، وقد يتغير الخلق التغييراً تدريجياً بسبب تجربة انجرار مضرة من داعيه، أو بسبب خوف عاقبة سيئة من جرّائه بتحذيرِ مَن هو قدوة عنده لاعتقاد نصحه، أو لخوف عقابه."(١)

قلت: هذه بعض أقوال أهل العلم سلفا وخلفا في تعريفهم للأخلاق، وبيان حقيقتها، وماهيتها، ومن خلال هذه الأقوال المذكورة لا يتضح لنا تعريفها فحسب بل يظهر لنا كذلك أقسامها، وكيفية اكتسابها وطريقة تغيرها، وظهور علم مستقل بذاته يسمى "علم الأخلاق "الذي عرفه غير واحد من أهل العلم منهم "ابن صدر الدين الشرواني "قال: "علم الأخلاق: علمٌ بالفضائل وكيفية اقتنائها لتتحلى النفس بها، وبالرذائل وكيفية توقيها لتتخلى عنها"(٢) وقال غيره: "علم الأخلاق علم موضوعه أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح"(٣)، وقد استوقفني كتاب "الأخلاق "للأستاذ / أحمد أمين، وقد عرف فيه علم الأخلاق بقوله: "هو علم يوضح معنى الخير والشر، ويبين ما تنبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضا، ويشرح الغاية التى ينبغي أن يقصدها الناس في أعمالهم وينير السبيل لعمل ما ينبغي، **ثم قال:** وموضوعه: البحث عن أعمال الناس فيحكم عليها بالخير أو الشر، ولكن ليست كل الأعمال صالحة لأن يحكم عليها هذا الحكم فكثير من الأعمال لا يصح أن يقال عنها إنها خير ولا شر."(٤)

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠١/١٠، وما بعدها.

(٢) التعريف المذكور لابن صدر الدين الشرواني في رسالة له تسمى "الرسالة الخاقانية"، ولم أقف عليها ولكن نقلته عن مادة علمية في الأخلاق للدكتور / خالد بن عبد الله المزيني.

(٣) المعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين منهم: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات وغيرهم ٢٥٢/١.

(٤) الأخلاق لأحمد أمين صـ ٢ بتصرف يسير.

قلت: يظهر من خلال ما سبق أن الخلق أساسه صفة نفسية وليس مجرد صورة حسية لسلوكيات عملية وأنه أمر راسخ مستقر في النفس، وليس أمرا طارئا عارضا يرتبط بموقف ثم يختفي.

ارتباط الأخلاق بغيرها

من يتأمل في ديننا الحنيف، وينظر في مصادره على رأسها الكتاب والسنة يجد أن للأخلاق مكانة عظيمة لها أثرها في علاقة العبد بربه، وعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه، فتجعل لسلوكه ضوابط مرتبطة بالشرع يعتمد عليها، ويركن إليها فينتج عن ذلك علاقات مثمرة، وسلوكيات وأخلاق يظهر الجانب الإيماني في كل موقف فيها، ومن خلال الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية يظهر مدى ارتباط الأخلاق بغيرها من أمور العقيدة، والعبادة، والاقتصاد والتجارة، والأسرة والتربية.

أولا: ارتباط الأخلاق بالعقيدة

إن تخلق المسلم بالأخلاق الرفيعة، والسجايا الحميدة من لوازم الإيمان بالله – تعالى – وأساس من أسس قبول عمله، فالعقيدة الصحيحة تستلزم التحلي بكل ما هو جميل، والتخلي عن كل ما هو قبيح فالأخلاق ترتبط ارتباطا وثيقا بأركان الإيمان خاصة الإيمان بالله، ورسله، واليوم والآخر.

ويظهر ارتباط الأخلاق بالإيمان بالله– تعالى– عندما يكون الإنسان مطلعا على أوامره ونواهيه، مراقبا له يعلم أنه يطلع على كل أحواله الظاهرة والباطنة فيدفعه ذلك لفعل الطيب وترك الخبيث، معتقدا اعتقادا جازما لا شك فيه أن هذا جزء من إيمانه، وأمثلة ذلك كثيرة في السنة النبوية المطهرة **منها:** أن النبي (ﷺ) جعل إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب وخصال الإيمان، وإماطة الأذى فعل نبيل، وخلق جميل كما في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال

الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أو بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عن الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الْإِيمَانِ.(١)

ومنها: أنه (ﷺ) جعل القول الحسن، والكلام بالخير، والسكوت عن الشر، والكف عن إيذاء الجار وإكرام الضيف، وكلها من الأخلاق الفاضلة من علامات كمال الإيمان بالله – تعالى – ولازما من لوازمه مما يُظْهِر الارتباط الوثيق بين الأخلاق والإيمان بالله – تعالى – كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قال: قال رسول اللَّهِ (ﷺ) من كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فلا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ.(٢)

ومنها: أنه (ﷺ) جعل التلطف مع الأهل، وعدم التفحش والبذاءة، وترك الطعن واللعن وسلامة المسلمين من يد المسلم ولسانه، وأن يأمنوه على الدماء والأموال – وكلها من الأخلاق الحسنة، والسجايا الجميلة – من لوازم الإيمان بالله – تعالى – ودليل على أن من حسنت أخلاقه، وطابت فعاله وخصاله مع الناس كان إلى الله أقرب، وأكثر تحقيقا لمعنى الإيمان به ممن ساء خلقه، وقبح فعله، وشان طبعه.

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح – كتاب – الإيمان – باب – بَيَانِ عَدَدِ شُعَبِ الْإِيمَانِ وَأَفْضَلِهَا وَأَدْنَاهَا وَفَضِيلَةِ الْحَيَاءِ وَكَوْنِهِ من الْإِيمَانِ ٦٣/١ رقم (٣٥) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة به.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – الأدب – باب – من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فلا يؤذ جاره – ٢٢٤٠/٥ رقم (٥٦٧٢) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة به، ومسلم في الصحيح – كتاب – الإيمان – باب – الْحَثّ على إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ وَلُزُومِ الصَّمْتِ إلا عن الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذلك كُلِّهِ من الْإِيمَانِ ٦٨/١ رقم (٤٧) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة به.

وقد وردت الأحاديث الصحيحة بكثرة في السنة النبوية تدل على المعاني السابقة، كما في حديث عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قالت: قال رسول اللَّهِ (ﷺ) إِنَّ من أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ(١)، **وحديث** عبد اللَّهِ بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول اللَّهِ (ﷺ) ليس الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ ولا اللَّعَّانِ ولا الْفَاحِشِ ولا الْبَذِيءِ(٢)، وحديث أبي هُرَيْرَةَ قال قال رسول اللَّهِ (ﷺ) الْمُسْلِمُ من سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ من أَمِنَهُ الناس على دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ(٣)، **وحديث** عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) قال: الْمُسْلِمُ من سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ من هَجَرَ ما نهى الله عنه.(٤) وغيرها الكثير من الأحاديث.

ويظهر ارتباط الأخلاق بالإيمان بالرسل عندما يطبق المسلم الأخلاق الحميدة فعلا بعد أن اعتقدها قلبا، وسلَّم أنها من الأمور التي يقتدى في فعلها بالنبي (ﷺ)

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع – كتاب – الإيمان – باب – ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه – ٩/٥ رقم (٢٦١٢) من طريق أبي قلابة عن عائشة به، وقال: وفي الْبَاب عن أبي هُرَيْرَةَ وَأَنَسِ بن مَالِكٍ قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع – كتاب – البر والصلة – باب – ما جاء في اللعنة – ٣٥٠/٤ رقم (١٩٧٧) من طريق علقة عن عبد الله بن مسعود به، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وقد رُوِيَ عن عبد اللَّهِ من غَيْرِ هذا الْوَجْهِ، وأحمد في المسند ٤٠٤/١ رقم (٣٨٣٩) من طريق علقمة عن عبد الله بن مسعود به.

(٣) أخرجه الترمذي في الجامع – كتاب – الإيمان – باب – ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده – ١٧/٥ رقم (٢٦٢٧) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة به، وقال: حسن صحيح.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – الإيمان –باب – المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده – ١٣/١ رقم (١٠) من طريق الشعبي عن عبد الله بن عمرو به، ومسلم في الصحيح – كتاب – الإيمان – باب – بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ – ٦٥/١ رقم (٤١) من طريق أبي الزبير عن جابر به.

وأن من مستلزمات الإيمان بالرسول (ﷺ) امتثال ما أمر به من الفضائل، والابتعاد عما نهى عنه من الرذائل وكذلك اعتقاد المسلم أنه بتخلقه وتنفيذه للأخلاق الحميدة وبعده عن الأخلاق الذميمة اعتقادا في صدق النبوة وأنه (ﷺ) مبلغ عن ربه (ﷻ).

ويظهر ارتباط الأخلاق بالإيمان باليوم الآخر عندما يتحلى المسلم حقا بالأخلاق الحميدة ويجتنب غيرها لاعتقاده أنه يثاب على ذلك في الآخرة، وأنها من أسباب تحقيق مبتغاه ونيل ما يرجوه ويتمناه، فمعرفته بما أعده الله له من النعيم يدفعه دفعا للقيام بكل ما هو محبوب، ومعرفته بما أعده الله من العذاب الأليم يدفعه دفعا لترك كل ما هو مذموم.

ذويدل على ذلك كثير من الأحاديث **منها: حديث** عبد اللَّهِ بن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إلى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إلى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا(١)، **وحديث** عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو (رضي الله عنهما) إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) إِنَّ من أَحَبِّكُمْ إلي أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا(٢)، **وحديث** جَابِرٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قال: إِنَّ من أَحَبِّكُمْ إلي وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يوم الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إلي وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يوم الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ

(١) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب– الأدب – بَاب – قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مع الصَّادِقِينَ) وما يُنْهَى عن الْكَذِبِ ٢٢٦١/٥ رقم (٥٧٤٣) من طريق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود به.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – المناقب – باب – مناقب عبد الله بن مسعود – ١٣٧٢/٣ رقم (٣٥٤٩) من طريق مسروق عن عبد الله بن مسعود به.

وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ: قد عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فما الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قال: الْمُتَكَبِّرُونَ.(١)

ثانيا: ارتباط الأخلاق بالعبادة

فالمتأمل في العبادات الإسلامية يجد أن لها أهدافا أخلاقية واضحة، فالصلاة من أهم وظائفها النهي عن الفحشاء والمنكر، وتطهير النفس من كل خلق بغيض مذموم، كما تحمله وتعينه على مجاهدة الصعاب ومواجهة تعب الحياة، والزكاة سبيل عظيم للتخلص من الأثرة، والشح، والبخل، والأنانية، وحب الذات وتحمل الإنسان على خلق البذل والعطاء والإيثار، والصوم يدرب النفس على الصبر على الطاعة والكف عن المعصية، وحمل النفس على بلوغ مرتبة التقوى، والحج يرسخ في النفس خلق الزهد، والترفع عن الدنيا وشهواتها، والتواضع، وعدم احتقار الناس وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة.

وبالجملة فلا تنفع المرء صلاة ولا زكاة أو صيام يوم القيامة، إن كان من المفسدين المعتدين على الناس بأخلاقه السيئة.

ويدل على ذلك الكثير من الأحاديث منها: **حديث عن أبي هُرَيْرَةَ (ﷺ) قال: قال رسول اللَّهِ (ﷺ)** من لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ.(٢)

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع – كتاب – البر والصلة – باب – ما جاء في معالي الأخلاق – ٣٧٠/٤ رقم (٢٠١٨) من طريق محمد بن المنكدر عن جابر به، وقال: وفي الْبَاب عن أبي هُرَيْرَةَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ وَرَوَى بَعْضُهُمْ هذا الحديث عن الْمُبَارَكِ بن فَضَالَةَ عن مُحَمَّدِ بن الْمُنْكَدِرِ عن جَابِرٍ عن النبي (ﷺ) ولم يذكر فيه عن عبد رَبِّهِ ابن سَعِيدٍ وَهَذَا أَصَحُّ وَالثَّرْثَارُ هو الْكَثِيرُ الْكَلَامِ وَالْمُتَشَدِّقُ الذي يَتَطَاوَلُ على الناس في الْكَلَامِ وَيَبْذُو عليهم.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – الصوم – باب – من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم – ٦٧٣/٢ رقم (١٨٠٤) من طريق سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هرير به.

وحديث أبي هريرة (ﷺ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قال: أَتَدْرُونَ ما الْمُفْلِسُ؟ قالوا: الْمُفْلِسُ فِينَا من لَا دِرْهَمَ له ولا مَتَاعَ فقال: إِنَّ الْمُفْلِسَ من أُمَّتِي يَأْتِي يوم الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قد شَتَمَ هذا وَقَذَفَ هذا وَأَكَلَ مَالَ هذا وَسَفَكَ دَمَ هذا وَضَرَبَ هذا فَيُعْطَى هذا من حَسَنَاتِهِ وَهَذَا من حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قبل أَنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ من خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عليه ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ.(١)

وحديث أبي هُرَيْرَةَ (ﷺ) قال: قال رَجُلٌ يا رَسُولَ اللَّهِ إن فُلَانَةَ يذكر من كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غير أنها تؤذي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قال: هي في النَّارِ قال يا رَسُولَ اللَّهِ: فإن فُلَانَةَ يذكر من قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وإنها تَصَدَّقُ بالأثوار مِنَ الأَقِطِ وَلاَ تؤذي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قال: هي في الْجَنَّةِ.(٢)

ثالثا: ارتباط الأخلاق بالاقتصاد والتجارة

مع كون الأخلاق عملا دنيويا يهدف صاحبه من خلاله إلى كسب عيشه، وتحصيل قوته وتحسين وضعه إلا أننا نجد أن الشرع يلزمه أن يتعرف على الأخلاقيات الفاضلة، وأن يدرك المأمور به والمنهي عنه فيما يتعلق بذلك، فلا يدفعه حب المال، وشراهة الكسب إلى ترك أخلاق الإسلام ذات الصلة، فيقدم أمر الله على تجارته وكسبه، ولا يساوم على دينه مهما كانت المغريات، ولا يملك ثروة إلا عن طريق طيب، ولا يبيح لنفسه أموال الناس بالباطل، وأن يبتعد عن الغش

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح – كتاب – البر والصلة والآداب – باب – تحريم الظلم – ١٩٩٧/٤ رقم (٢٥٨١) من طريق العلاء عن أبيه به.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤٤٠/٢ رقم (٩٦٧٣) من طريق أبي يحيى مولى جعدة عن أبي هريرة به، وابن حبان في التقاسيم والأنواع – باب– ذكر الإخبار عما يجب على المرء من ترك الوقيعة في المسلمين وإن كان تشميره في الطاعات كثيرا – ٧٦/١٣ رقم (٥٧٦٤) من طريق أَبي يَحْيَى مَوْلَى جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ عن أبي هريرة به.

والتمويه والخداع والتدليس، وأن يتغاضى عن المعسرين ويمهلهم، ولا يبيع سلعته بالحلف الكاذب، ولا يقع في شَرَك الاحتكار، وكل ذلك من الأخلاق الفاضلة التي تظهر مدى الارتباط بين الأخلاق والاقتصاد والتجارة.

ويدل على ذلك الكثير من الأحاديث النبوية منها: حديث أبي سَعِيدٍ (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مع النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ.(١)

قال الطيبي: من تحرى الصدق والأمانة كان في زمرة الأبراء من النبيين والصديقين ومن توخى خلافهما كان في قرن الفجار من الفسقة والعاصين.(٢)

قال المناوي: التاجر الصدوق لا يحجب من أي عن أبواب الجنة أي أنه يدخل من أي أبواب الجنة شاء ولا يمنعه عنه خزنته وذلك لنفعه لنفسه ولصاحبه وسرايته إلى عموم الخلق.(٣)

وحديث رِفَاعَةَ أَنَّهُ خَرَجَ مع النبي (ﷺ) إلى الْمُصَلَّى فَرَأَى الناس يَتَبَايَعُونَ فقال: يا مَعْشَرَ التُّجَّارِ فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إليه فقال: إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يوم الْقِيَامَةِ فُجَّارًا إلا من اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَّ.(٤)

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع – كتاب – البيوع – باب – ما جاء في التُّجَّارِ وَتَسْمِيَةِ النبي (ﷺ) إِيَّاهُمْ – ٥١٥/٣ رقم (١٢٠٩) من طريق الحسن عن أبي سعيد به، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من هذا الْوَجْهِ من حديث الثَّوْرِيِّ عن أبي حَمْزَةَ وأبو حَمْزَةَ اسْمَهُ عبد اللَّهِ بن جَابِرٍ وهو شَيْخٌ بَصْرِيٌّ حدثنا سُوَيْدُ بن نَصْرٍ أخبرنا عبد اللَّهِ بن الْمُبَارَكِ عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عن أبي حَمْزَةَ بهذا الإسناد نَحْوَهُ.

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٣٣٥/٤.

(٣) فيض القدير للمناوي ٢٧٨/٣.

(٤) أخرجه الترمذي في الجامع – كتاب – البيوع – باب– ما جاء في التُّجَّارِ وَتَسْمِيَةِ النبي (ﷺ) إِيَّاهُمْ –٥١٥/٣ رقم (١٢١٠) من طريق إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده به، وقال: حسن صحيح.

وحديث مَعْمَرِ بن عبد اللَّهِ (ﷺ) عن رسول اللَّهِ (ﷺ) قال: لَا يَحْتَكِرُ إلا خَاطِئٌ.(١)

وحديث أَبَي هُرَيْرَةَ (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: كان تَاجِرٌ يُدَايِنُ الناس فإذا رَأَى مُعْسِرًا قال لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عنه لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَتَجَاوَزَ الله عنه.(٢)

وحديث حَكِيمِ بن حِزَامٍ (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ ما لم يَتَفَرَّقَا أو قال حتى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا في بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا.(٣) وغير ذلك من الأحاديث.

رابعا: ارتباط الأخلاق بالأسرة والتربية

فالعلاقة وثيقة بين الأخلاق والتربية ؛فبالتربية الأخلاقية تنهض الأمم، وتبقى الشعوب وتحافظ على هويتها وكيانها، فينتج عن التربية الأخلاقية بر الوالدين، والإحسان إليهما والمودة والرحمة، والمعاشرة بالمعروف، وتحمل المؤولية والقيام بها على الوجه الأكمل.

كما في **حديث** عَبْدَ اللَّهِ بن عُمَرَ (ﷺ) قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يقول: كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ ومسؤول عن رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ في

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح – كتاب – المساقاة – باب – تحريم الاحتكار في الأقوات – ١٢٢٧/٣ رقم (١٦٠٥) من طريق سعيد بن المسيب عن معمر به.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – البيوع – باب – من أنظر معسرا – ٧٣١/٢ رقم (١٩٧٢) من طريق عبيد الله ابن عبد الله عن أبي هريرة به.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – البيوع – باب – ما يمحق الكذب والكتمان في البيع – ٧٣٣/٢ رقم (١٩٧٦) ومسلم في الصحيح – كتاب – البيوع – باب – الصدق في البيع والبيان– ١١٦٤/٣ رقم (١٥٣٢) كلاهما من طريق عبد الله بن الحارث عن حكيم بن حزام به.

أَهْلِهِ وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِهَا ومسؤولة عن رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ ومسؤول عن رَعِيَّتِهِ.([1])

قال الغزالي (رحمه الله) مبينا فضل الأخلاق والتربية عليها وأنها سر تميز الإنسان عن غيره: "قد عرفت بهذا قطعا أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء، وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعني النفس والبدن فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور **ثم قال:** ويعرف ذلك بمثال وهو: أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق، ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع.([2])

(١) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – العتق – باب – الْعَبْدُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَنَسَبَ النبي (ﷺ) الْمَالَ إلى السَّيِّدِ – ٩٠٢/٢ رقم (٢٤١٩) من طريق سالم بن عبد الله عن أبيه به، ومسلم في الصحيح – كتاب – الإمارة – باب – فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثِّ على الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيِ عن إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عليهم – ١٤٥٩/٣ رقم (١٨٢٩) من طريق نافع عن ابن عمر به.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٥٩/٣.

المبحث الثاني
الغَيْرة

تعريفها، حث الإسلام عليها، أقسامها

تعريف الغَيْرة

لغة: قال ابن منظور: والغَيْرة – بالفتح المصدر – من قولك غار الرجل على أهله،والغيرة هي الحَمِيَّة والأَنَفَة يقال رجل غيور وامرأة غيور.(١)

اصطلاحا: بالبحث والنظر وقفت على كثير من الأقوال في تعريف "الغَيْرة "سواء في حق الله – تعالى – أو في حق العبد، ويظهر من خلال هذه الأقوال أن الغيرة في حق الله – تعالى – أحسن ما يقال فيها غيرته أن تؤتى محارمه، وفي حق العبد ثوران غضبه، وتهيج قلبه رعاية لحقوق معينة يأتي على رأسها النساء.

قال عياض: هي مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين هذا في حق الآدمي، وأما في حق الله **فقال الخطابي:** أحسن ما يفسر به وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه.(٢)

وقال الجُرجاني: الغيرة كراهة شركة الغير في حقه(٣)، **وقال أبو البقاء الكفوي:** الغيرةكراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو حقه.(٤)

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٤٠/٥ وما بعدها، مختار الصحاح للرازي ٢٣٠/١، تاج العروس للزبيدي ٢٨٨/١٣.

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٢٧٧/٤، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٣٢٠/٩.

(٣) التعريفات للجرجاني ٢١٠/١.

(٤) الكليات لأبي البقاء الكفوي٦٧١/١، وهو أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي المتوفى ١٠٩٤م.

قال الراغب الأصفهاني: الغيرة ثوران الغضب حماية على إكرام الحرم وأكثر ما يراعى في الحرم والنساء وجعل الله القوة في الإنسان سببا لصيانة الماء وحفظا للأنساب، ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها.(١)

وقال النووي (رحمه الله): قال العلماء: الغيره –بفتح الغين – وأصلها: المنع والرجل غيور على أهله أى يمنعهم من التعلق بأجنبى بنظر أو حديث أو غيره والغيره صفة كمال.(٢)

حث الإسلام عليها والترغيب فيها

الغيرة من الأخلاق الفاضلة، والسجايا الكريمة التي حث الإسلام عليها، ورغب فيها،ومدح أصحابها، وذم من تخلى عنها، والغيرة لا تقتصر على ما يقع بين الزوجين كما يظن البعض، ولكنها تشمل ما تصان به الأعراض، وتحفظ به الحرمات، وتطبق به الحدود وهي دليل على قوة رسوخ الإيمان في القلب، فكلما قوي الإيمان في القلب وتمكن منه قويت الغيرة وزادت الأنفة والحمية، وكلما قل وضعف الإيمان في القلب انفرط عقد الغيرة منه فلا ترى القلب ينكر منكرا أو يغضب لحرمات قد انتهكت، ولا يستقبح القبيح لا من نفسه ولا من غيره.

ولهذا يقول ابن القيم (رحمه الله): فانظر ما الذي حملت عليه قلة الغيرة وهذا يدلك على أن أصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له فالغيرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح فتدفع السوء والفواحش وعدم الغيرة تميت القلب فتموت الجوارح فلا يبقى عندها دفع البتة، ومثل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه فإذا ذهبت القوة وجد الداء المحل قابلا ولم يجد دافعا فتمكن فكان

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ٢٣٨/١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣٢/١٠.

الهلاك، ومثلها مثل صياصي(١) الجاموس التي تدفع بها عن نفسه وعن ولده فإذا تكسرت طمع فيها عدوه.(٢)

وقد جاء في السنة النبوية المطهرة الكثير من الأحاديث التي ترغب في هذا الخلق العظيم بكل معانيه وأقسامه، **منها: حديث** أَبي هُرَيْرَةَ (ﷺ) عن النبي (ﷺ) أَنَّهُ قال إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ ما حَرَّمَ الله(٣)، **وحديث** أبي هُرَيْرَةَ (ﷺ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قال: الْمُؤْمِنُ يَغَارُ وَاللَّهُ أَشَدُّ غَيْرًا.(٤)

قال المناوي معلقا: وأشرف الناس وأعلاهم همة أشدهم غيرة فالمؤمن الذي يغار في محل الغيرة قد وافق ربه في صفة من صفاته ومن وافقه في صفة منها قادته تلك الصفة بزمامه وأدخلته عليه وأدنته منه وقربته من رحمته.(٥)

ومنها: حديث جابر بن عَتِيكٍ الأَنْصَارِيِّ الأنصاري (ﷺ) عَنْ أبيه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهِ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهِ فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهِ فَالْغَيْرَةُ فِي الريبة وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهِ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ ريبة، وَإِنَّ

---

(١) صياصي الجاموس: أي قرونها، والصيصة أيضا:الوتد الذي يقلع به التمر والصنارة التي يغزل بها وينسج. لسان العرب لابن منظور ٥٢/٧.

(٢) الجواب الكافي لابن القيم ٤٥/١.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – النكاح – باب – الْغَيْرَةِ وقال وَرَّادٌ عن الْمُغِيرَةِ قال سَعْدُ بن عُبَادَةَ لو رأيت رَجُلًا مع امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غير مُصْفَحٍ فقال النبي (ﷺ) أَتَعْجَبُونَ من غَيْرَةِ سَعْدٍ لَأَنَا أَغْيَرُ منه وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي ٢٠٠٢/٥ رقم (٤٩٢٥)، ومسلم في الصحيح – كتاب– التوبة – باب – غيرة الله وتحريم الفواحش – ٢١١٤/٤ رقم (٢٧٦١) كلاهما من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة به.

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح – كتاب – التوبة – باب – غيرة الله وتحريم الفواحش – ٢١١٥/٤ رقم (٢٦٧١) من طريق محمد بن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة به.

(٥) فيض القدير للمناوي ٢٥٣/٦.

مِنَ الْخُيَلاءِ مَا يُحِبُّ اللَّهِ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهِ فَأَمَّا الْخُيَلاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهِ أَنْ يَتَخَيَّلَ الْعَبْدُ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ وَأَنْ يتَخَيَّلَ عِنْدَ الصَّدَقَةِ وَأَمَّا الْخُيَلاءُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهِ فَالْخُيَلاءُ في الباطل.(١)

قال الشوكاني: فَالْغَيْرَة في الرِّيبَةِ نَحْوُ أَنْ يَغْتَارَ الرَّجُلُ على مَحَارِمِهِ إذَا رَأَى منهم فِعْلًا مُحَرَّمًا فإن الْغَيْرَةَ في ذلك وَنَحْوِهِ مِمَّا يُحِبّهُ اللَّهُ وفي الحديث الصَّحِيحِ ما أَحَدٌ أَغْيَرَ من اللَّهِ من أَجْلِ ذلك حَرَّمَ الزنى، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ في غَيْرِ الرِّيبَةِ فَنَحْوُ أَنْ يَغْتَارَ الرَّجُلُ على أُمِّهِ أَنْ يَنْكِحَهَا زَوْجُهَا وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَحَارِمِهِ فإن هذا مِمَّا يَبْغُضُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّ ما أَحَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا الرِّضَا بِهِ فَإِنْ لم نَرْضَ بِهِ كان ذلك من إيثَارِ حَمِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ على ما شَرَعَهُ اللَّهُ لنا.(٢)

أقسام الغَيْرَة

بالنظر في الأحاديث الواردة، وتتبع أقوال أهل العلم يظهر أن الغَيْرَة تنقسم إلى أقسام مختلفة لاعتبارات متعددة، فتنقسم من حيث كونها على المحبوب أو له، وتنقسم أقساما أخرى من حيث غيرة العبد على محبوبه وتعلق ذلك بالله–تعالى –.

فأما أقسام الغَيْرَة من حيث كونها على المحبوب أو له فتنقسم إلى قسمين ذكرهما ابن القيم في كتابه "روضة المحبين ونزهة المشتاقين "تحت باب بعنوان "غَيْرَة المحبين على أحبابهم "قال فيه: والغَيْرَة نوعان: **غَيْرَة للمحبوب، وغَيْرَة عليه، فأما الغَيْرَة له:** فهي الحَمِيَّة له والغضب له إذا استهين بحقه وانتقصت

(١) أخرجه ابن حبان في التقاسيم والأنواع – كتاب – البر والإحسان – باب – ذكر الإخبار عن الغيرة التي يحبها الله والتي يبغضها ٥٣٠/١ رقم (٢٩٥)، والنسائي في السنن – كتاب – الزكاة – باب – الاحتيال في الصدقة – ٧٨/٥ رقم (٢٥٥٨) كلاهما من طريق ابن عتيك عن أبيه به.

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ٦٨/٨.

حرمته وناله مكروه من عدوه فيغضب له المحب ويحمى وتأخذه الغيرة له بالمبادرة إلى التغيير ومحاربة من آذاه فهذه غيرة المحبين حقا وهي من غيرة الرسل وأتباعهم لله ممن أشرك به واستحل محارمه وعصى أمره، وهذه الغيرة هي التي تحمل على بذل نفس المحب وماله وعرضه لمحبوبه حتى يزول ما يكرهه فهو يغار لمحبوبه أن تكون فيه صفة يكرهها محبوبه ويمقته عليها أو يفعل ما يبغضه عليه ثم يغار له بعد ذلك أن يكون في غيره صفة يكرهها ويبغضها والدين كله في هذه الغيرة بل هي الدين وما جاهد مؤمن نفسه وعدوه ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر إلا بهذه الغيرة ومتى خلت من القلب خلا من الدين فالمؤمن يغار لربه من نفسه ومن غيره إذا لم يكن له كما يحب والغيرة تصفي القلب وتخرج خبثه كما يخرج الكير خبث الحديد.([1])

وأما القسم الثاني: الغَيْرَة على المحبوب فقد قسمها ابن القيم إلى قسمين كذلك، قال (رحمه الله): وأما الغيرة على المحبوب فهي أنفة المحب وحميته أن يشاركه في محبوبه غيره، وهذه أيضا نوعان: **غيرة المحب** أن يشاركه غيره في محبوبه، **وغيرة المحبوب** على محبه أن يحب معه غيره.([2])

قلت: ويشهد لما ذكره ابن القيم في القسم الأول حديث قتادة بن النعمان (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): إذا أحب الله عبدا حماه كما يحمي أحدكم مريضه الماء.([3])

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم ٢٩٤/١.

(٢) المصدر السابق نفسه ٢٩٥/١.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين – كتاب – الرقاق – ٣٤٤/٤ رقم (٧٨٥٧) من طريق محمود بن لبيد عن قتادة به، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والترمذي في الجامع – كتاب – الطب – باب – ما جاء في الحمية – ٣٨١/٤ رقم (٢٠٣٦) من طريق محمود بن لبيد عن قتادة به، وقال: وفي الباب عن صهيب وأم المنذر وهذا حديث حسن غريب.

وحديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ): يا أمة محمد والله ما أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا.(١)

وحديث أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قال: الْمُؤْمِنُ يَغَارُ وَاللَّهُ أَشَدُّ غَيْرًا.(٢)

وحديث المغيرة (رضي الله عنه) قالَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ: لو رَأَيْتُ رَجُلًا مع امْرَأَتي لَضَرَبْتُهُ بالسَّيْفِ غَيْرُ مُصْفِحٍ عنْه، فَبَلَغَ ذلكَ رَسولَ اللهِ (ﷺ) فَقالَ: أَتَعْجَبُونَ مِن غَيْرَةِ سَعْدٍ، فَوَاللَّهِ لأَنَا أَغْيَرُ منه، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، مِن أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ، ما ظَهَرَ منها، وَما بَطَنَ، وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ، مِن أَجْلِ ذلكَ بَعَثَ اللَّهُ المُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللهِ، مِن أَجْلِ ذلكَ وَعَدَ اللَّهُ الجَنَّةَ.(٣)

وحديث عائشة (رضي الله عنها) أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ ابْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح- كتاب – الكسوف – باب – الصدقة في الكسوف – ٣٥٤/١ رقم (٩٩٧)، ومسلم في الصحيح – كتاب – الكسوف – باب – صلاة الكسوف – ٦١٨/٢ رقم (٩٠١) كلاهما من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به.

(٢) سبق تخريجه في رقم (٦٤).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – التوحيد – باب – قول النبي (ﷺ) لا شخص أغير من الله – ٢٦٩٨/٦ رقم (٦٩٨٠)، ومسلم في الصحيح – كتاب – اللعان – باب – بدون ترجمة – ١١٣٦/٢ رقم (١٤٩٩) كلاهما من طريق رواد كاتب المغيرة عن المغيرة به.

حُدُودِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَاخْتَطَبَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقُطِعَتْ يَدُهَا.([1])

قلت: ومن جميل ما وقفت عليه في هذه الباب قول ابن تيمية (رحمه الله): "فالغيرة المحبوبة هي ما وافقَت غيرةَ الله تعالى، وهذه الغيرة هي أن تُنتهك مَحارم الله، وهي أن تُؤتى الفواحش الباطِنة والظاهرة، لكن غيرة العبد الخاصَّة هي مِن أن يشركه الغيرُ في أهله فغيرته من فاحِشَة أهله ليست كغيرته من زنا الغير؛ لأنَّ هذا يتعلَّق به، وذاك لا يتعلَّق به إلا من جِهَة بغضه لمبغضة الله؛ ولهذا كانت الغيرة الواجبة عليه هي في غيرته على أهله وأعظم ذلك امرأته، ثم أقاربه، ومن هو تحت طاعته.([2])

وأما أقسام الغيرة من حيث غيرة العبد على محبوبه فتنقسم إلى قسمين: غيرة محمودة يحبها الله، وغيرة مذمومة يبغضها الله.

فالغيرة المحمودة هي التي تكون تبعا لريب أو شك مع توفر أسبابه ووجود دواعيه، ويترتب على هذا النوع حفظ الأعراض، وصيانة جنابها، **والغيرة المذمومة** هي التي تكون في غير ريبة، وقد زادت عن الحد المحمود، ويبندفع صاحبها

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – الحدود – باب – كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان – ٢٤٩١/٦ رقم(٦٤٦٠)، ومسلم في الصحيح – كتاب – الحدود – باب – قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود – ١٣١٥/٣ رقم (١٦٨٨) كلاهما من طريق عروة عن عائشة به.

(٢) الاستقامة لابن تيمية ٧/٢.

خلفها تبعا لسوء الظن، وعقاب المحبوب بأكثر مما يستوجب ذلك ويستحقه، فيخون الأهل، ويتهم الصديق، ويطعن في الأعراض.

قال ابن القيم (رحمه الله): وغيرة العبد على محبوبه نوعان: **غيرة ممدوحة** يحبها الله **وغيرة مذمومة** يكرهها الله، **فالتي يحبها الله:** أن يغار عند قيام الريبة، **والتي يكرهها:** أن يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبة وتوقع العداوة بين المحب ومحبوبه.(١)

وقال أيضا: "وإنما الممدوح اقتران الغيرة بالعُذر، فيغار في محلِّ الغيرة، ويَعذر في موضع العذر، ومن كان هكذا فهو الممدوح حقًّا".(٢)

قلت: ويشهد للتقسيم الأخير الذي ذكره ابن القيم باعتبار الممدوح منها والمذموم **حديث** جابر بن عَتِيكٍ الأَنْصَارِيِّ الأنصاري (رضي الله عنه) عَنْ أبيه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهِ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهِ فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهِ فَالْغَيْرَةُ فِي الريبة وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهِ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ ريبة، وَإِنَّ مِنَ الْخُيَلاءِ مَا يُحِبُّ اللَّهِ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهِ فَأَمَّا الْخُيَلاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهِ أَنْ يتَخَيَّلَ الْعَبْدُ بنفْسِهِ عِنْدَ القْتِالِ وأَنْ يتَخَيَّلَ عِنْدَ الصَّدَقَةِ وَأَمَّا الْخُيَلاءُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهِ فَالْخُيَلاءُ في الباطل.(٣)

وحديث كعب بن مالك (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: الغَيْرة غيرتان: فغيرة يحبها الله، وأخرى يكرهها الله، قلنا يا رسول الله (ﷺ): ما الغَيْرة التي يحب الله؟ قال: أن تؤتى معاصيه، أو تنتهك محارمه، قلنا: فما الغَيْرة التي يكره الله؟ قال: غيرة أحدكم في غير كنهه.(٤)

---

(١) روضة المحبين لابن القيم ٢٩٦/١.

(٢) الجواب الكافي لابن القيم ٤٤/١.

(٣) سبق تخريجه في رقم (٦٦).

(٤) أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب – باب– ذكر الغيرة على النساء– ٣٥٦/١ رقم (٧٣٥) من طريق محمد بن إبراهيم عن كعب بن مالك به.

ومن أجمع ما وقفت عليه في هذه الباب قول ابن القيم بعد كل ما ذكر: "وملاك الغيرة وأعلاها ثلاثة أنواع: غيرة العَبد لربِّه أن تُنتهك محارمه وتضيع حدوده، وغيرته على قَلبه أن يَسكن إلى غيره وأن يأنس بسواه، وغيرته على حُرمته أن يتطلَّع إليها غيره، فالغيرة التي يحبُّها الله ورسوله دارت على هذه الأنواع الثلاثة، وما عداها: فإمَّا من خدع الشيطان، وإما بلوى من الله كغيرة المرأة على زوجها أن يتزوَّج عليها.(١)

قلت: وبعد ما ذكرت من أقسام للغيرة، رأيت لزاما عليّ أن أنقل ما لخصه "ابن تيمية "(رحمه الله) في بيان أقسام الناس في الغيرة على محارم الله حيث قال: وهنا انقسم بنو آدم أربعة أقسام:

١- قوم لا يغارون على حرمات الله بحال، ولا على حرمها مثل: الديُّوث والقوَّاد وغير ذلك ومثل أهل الإباحة الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحقِّ، ومنهم من يجعل ذلك سلوكًا وطريقًا "**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَآ عَلَيْهَآ آبَآءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**".(٢)

٢- وقوم يغارون على ما حرَّمه الله، وعلى ما أمر به مما هو من نوع الحبِّ والكره، يجعلون ذلك غيرة، فيكره أحدهم من غيره أمورًا يحبها الله ورسوله، ومنهم من جعل ذلك طريقًا ودينًا ويجعلون الحسد والصدَّ عن سبيل الله، وبغض ما أحبه الله ورسوله غَيرة.

٣- وقوم يغارون على ما أمر الله به دون ما حرمه، فنراهم في الفواحش لا يبغضونها ولا يكرهونها، بل يبغضون الصلوات والعبادات، كما قال تعالى فيهم: "**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**".(٣)

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم ٣١٤/١.

(٢) سورة الأعراف الآية رقم (٢٨).

(٣) سورة مريم الآية رقم (٥٩).

٤- وقوم يغارون مما يكرهه الله، ويحبون ما يحبه الله، هؤلاء هم أهل الإيمان.([1])

قلت: الخلاصة في بيان أقسام الغيرة كما يأتي:

١- الغيرة للمحبوب: وهي الحَمِيَّة له والغضب له إذا استهين بحقه وانتقصت حرمته وهي غيرة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم.

٢- الغيرة على المحبوب وهي أنفة المحب وحميته أن يشاركه في محبوبه غيره، وهذه أيضا نوعان: **غيرة المحب** أن يشاركه غيره في محبوبه، **وغيرة المحبوب** على محبه أن يحب معه غيره.

٣- غيرة العبد على محبوبه فتنقسم إلى قسمين: غيرة محمودة يحبها الله، وغيرة مذمومة يبغضها الله، فالغيرة المحمودة هي التي تكون تبعا لريب أو شك مع توفر أسبابه ووجود دواعيه، والغيرة المذمومة هي التي تكون في غير ريبة، وقد زادت عن الحد المحمود، وبيندفع صاحبها خلفها تبعا لسوء الظن.

(١) الاستقامة لابن تيمية ٢/١٠.

المبحث الثالث
الغَيْرَة (نماذج وصور)

تمهيد:

في هذا المبحث أعرض لنماذج وصور من خلق "الغيرة"عند النبي (ﷺ)، وعند غيره من الأنبياء والمرسلين، والصحابة الكرام، متناولا لها بالشرح والتحليل لكون هذا الموضوع من الموضوعات المهمة في إصلاح جماعة المسلمين، حفاظا على قوامة الرجل، وكرامة المرأة وعفتها وصلاحها.

الغَيْرَة عند النبي (ﷺ)

مدح الله – تعالى – رسوله (ﷺ) بأخلاقه، وأنه ذو خلق عظيم رفيع الشأن، ويكفي قول ربه –تعالى – فيه ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم**﴾(١)، وغيرة النبي (ﷺ) أعظمها غيرته على حرمات الله فكان أشد غضبا وغيرة إذا انتهكت، ويأتي بعد ذلك غيرته على محارمه.

ومن ذلك: حديث عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قالت: ما خُيِّرَ النبي (ﷺ) بين أَمْرَيْنِ إلا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا ما لم يَأْثَمْ فإذا كان الْإِثْمُ كان أَبْعَدَهُمَا منه والله ما انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ في شَيْءٍ يُؤْتَى إليه قَطُّ حتى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ.(٢)

فلم يكن النبي (ﷺ) يغضب لنفسه أو ينتصر لها إلا إذا انتهكت حرمات الله فيكون (ﷺ) أشد الناس غضبا، وأعظمهم غيرة.

---

(١) سورة القلم الآية رقم (٤).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – الحدود – باب – إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَالِانْتِقَامِ لِحُرُمَاتِ اللَّهِ – ٢٤٩١/٦ رقم (٦٤٠٤) من طريق عروة عن عائشة به.

قال ابن حجر: قال القاضي: كان لا يقول ولا يفعل (ﷺ) في حال غضبه إلا الحق لكن غضبه لله قد يحمله على تعجيل معاقبة مخالفة وترك الإغضاء والصفح.(١)

ومن صور غضبه وغَيْرَته (ﷺ) عندما تنتهك حرمات الله – تعالى –: حديث عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قالت: دخل عَلَيَّ النبي (ﷺ) وفي الْبَيْتِ قِرَامٌ(٢) فيه صُوَرٌ فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ وَقَالَتْ: قال النبي (ﷺ): من أَشَدِّ الناس عَذَابًا يوم الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هذه الصُّوَرَ.(٣)

ومن صور ذلك: حديث عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (رضي الله عنها) أنها اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً(٤) فيها تَصَاوِيرُ فلما رَآهَا رسول اللَّهِ (ﷺ) قام على الْبَابِ فلم يَدْخُلْهُ قالت: فَعَرَفْتُ في وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ فقلت يا رَسُولَ اللَّهِ أَتُوبُ إلى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ (ﷺ) مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فقال رسول اللَّهِ (ﷺ): ما بَالُ هذه النُّمْرُقَةِ؟ قلت: اشْتَرَيْتُهَا لك لِتَقْعُدَ عليها وَتَوَسَّدَهَا فقال رسول اللَّهِ (ﷺ): إِنَّ أَصْحَابَ هذه الصُّوَرِ يوم الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ فَيُقَالُ لهم أَحْيُوا ما خَلَقْتُمْ وقال: إِنَّ الْبَيْتَ الذي فيه الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ.(٥)

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٧٢/١١.

(٢) قرام: بكسر القاف وتخفيف الراء ستر رقيق من صوف ذو ألوان فتح الباري لابن حجر ٤٨٤/١، وقال ابن الأثير: القرام الستر الرقيق وقيل الصفيق من صوف ذي ألوان، النهاية في غريب الأثر ٤٩/٤.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – الأدب – باب– ما يَجُوزُ من الْغَضَبِ وَالشِّدَّةِ لِأَمْرِ اللَّهِ وقال الله (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عليهم)٢٢٦٥/٥ رقم (٥٧٥٨) من طريق القاسم عن عائشة به.

(٤) نمرقة: أي وسادة وهي بضم النون والراء وبكسرهما وبغير هاء وجمعها نمارق، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ١١٧/٥.

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – البيوع – بَاب – التِّجَارَةِ فِيمَا يُكْرَهُ لُبْسُهُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ– ٧٤٢/٢ رقم (١٩٩٩)، وكتاب – النكاح – باب – بَاب هل يَرْجِعُ إذا رَأَى=

ومن صور ذلك: حديث عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قالت: رَخَّصَ رسول اللَّهِ (ﷺ) في أَمْرٍ فَتَنَزَّهَ عنه نَاسٌ من الناس فَبَلَغَ ذلك النبي (ﷺ) فَغَضِبَ حتى بَانَ الْغَضَبُ في وَجْهِهِ ثُمَّ قال: ما بَالُ أَقْوَامٍ يَرْغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لي فيه فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً.(١)

فغضب النبي (ﷺ) عندما تشدد الناس وتعمقوا مع وجود أسباب التخفيف والتيسير ولهذا قال النووي (رحمه الله): "فيه الحث على الاقتداء به (ﷺ) والنهي عن التعمق في العبادة وذم التنزه عن المباح شكا في إباحته، وفيه الغضب عند انتهاك حرمات الشرع وإن كان المنتهك متأولا تأويلا باطلا.(٢)

ومن صور غيرته وغضبه (ﷺ) إذا انتهكت حرمات الله – تعالى –: حديث أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قال:بيْنَمَا يهَوُدِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بها شيئا كَرِهَهُ فقال: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى على الْبَشَرِ فَسَمِعَهُ رَجُلٌ من الْأَنْصَارِ فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ وقال: تَقُولُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى على الْبَشَرِ وَالنَّبِيُّ (ﷺ) بين أَظْهُرِنَا فَذَهَبَ اليهودي إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ لي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فما بَالُ فُلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي فقال: لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ فَذَكَرَهُ فَغَضِبَ النبي (ﷺ) حتى رؤى في وَجْهِهِ ثُمَّ قال: لَا

=مُكَرًا في الدَّعْوَةِ وَرَأَى ابن مَسْعُودٍ صُورَةً في الْبَيْتِ فَرَجَعَ وَدَعَا ابن عُمَرَ أَبَا أَيُّوبَ فَرَأَى في الْبَيْتِ سِتْرًا على الْجِدَارِ فقال ابن عُمَرَ: غَلَبَنَا عليه النِّسَاءُ فقال: من كنت أَخْشَى عليه فلم أَكُنْ أَخْشَى عَلَيْكَ والله لَا أَطْعَمُ لَكُمْ طَعَامًا فَرَجَعَ- ١٩٨٦/٥ رقم (٤٨٨٦)، ومسلم في الصحيح – كتاب اللباس والزينة- باب – تَحْرِيمِ تَصْوِيرِ صُورَةِ الْحَيَوَانِ وَتَحْرِيمِ اتِّخَاذِ ما فيه صُورَةٌ غَيْرُ مُمْتَهَنَةٍ بِالْفَرْشِ وَنَحْوِهِ وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ (عليهم السلام) لَا يَدْخُلُونَ بَيْتًا فيه صُورَةٌ ولا كَلْبٌ – ١٦٦٩/٣ رقم (٢١٠٧) كلهم من طريق القاسم بن محمد عن عائشة به.

(١) أخرجه مسلم في الصحيح- كتاب – الفضائل – باب- عِلْمِهِ (ﷺ) بِاللَّهِ تَعَالَى وَشِدَّةِ خَشْيَتِهِ- ١٨٢٩/٤ رقم (٢٣٥٦) من طريق مسروق عن عائشة به.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٠٧/١٥.

تفُضَلّوُا بين أَنبْيِاءِ اللَّهِ فإنه يُنْفَخُ في الصُّورِ فَيَصْعَقُ من في السماوات وَمَنْ في الأرض إلا من شَاءَ الله ثُمَّ يُنْفَخُ فيه أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ من بُعِثَ فإذا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ فلا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يوم الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي ولا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ من يُونُسَ بن مَتَّى.(١)

فغضب النبي(ﷺ) وغيرته عندما وقع التخيير والتفضيل بين الأنبياء مما أدى إلى وقوع الخصومة والتنازع بين أهل دينين، وهو مما لا يرضى النبي (ﷺ) بوقوعه.

قال ابن حجر معلقا: قال العلماء في نهيه (ﷺ) عن التفضيل بين الأنبياء إنما نهى عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل أو من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع، أوالمراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة، وقيل النهي عن التفضيل إنما هو في حق النبوة نفسها كقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله ولم ينه عن تفضيل بعض الذوات على بعض لقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، وقال الحليمي: الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الإزدراء بالآخر فيفضي إلى الكفر فأما إذا كان التخيير مستندا إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان فلا يدخل في النهي.(٢)

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – بدء الخلق – بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ) ١٢٥٤/٣ رقم (٣٢٣٣)، ومسلم في الصحيح – كتاب – الفضائل – باب – من فضائل موسى(ﷺ) –١٨٤٣/٤ رقم (٢٣٧٣) كلاهما من طريق الأعرج عن أبي هريرة به.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٤٤٦/٦ بتصرف يسير.

ومن صور غيرته على شباب ونساء المسلمين حتى لا تؤتى محارم الله:

حديث عبد اللَّهِ ابن عَبَّاسٍ (ﷺ) أَنَّهُ قال: كان الْفَضْلُ بن عَبَّاسٍ رَدِيفَ رسول اللَّهِ (ﷺ) فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ من خَثْعَمَ تَسْتَفْتِيهِ فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إليه فَجَعَلَ رسول اللَّهِ (ﷺ) يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إلى الشِّقِّ الْآخَرِ قالت: يا رَسُولَ اللَّهِ إن فَرِيضَةَ اللَّهِ على عِبَادِهِ في الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أبي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ على الرَّاحِلَةِ أَفَأَحُجُّ عنه قال نعم وَذَلِكَ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ.(١)

قال النووي (رحمه الله): ومنها – أي من الدروس المستفادة – تحريم النظر إلى الأجنبية، ومنها إزالة المنكر باليد لمن أمكنه.(٢)

أما غيرته (ﷺ) على محارمه فلا تخفى على أحد، وقد دلت عليها الكثير من الأحاديث، **ومنها:** حديث عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّ النبي (ﷺ) دخل عليها وَعِنْدَهَا رَجُلٌ فَكَأَنَّهُ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ كَرِهَ ذلك فقالت: إنه أَخِي فقال: انْظُرْنَ من إِخْوَانُكُنَّ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ من الْمَجَاعَةِ(٣)، وفي لفظ مسلم: وَعِنْدِي رَجُلٌ قَاعِدٌ فَاشْتَدَّ ذلك عليه وَرَأَيْتُ الْغَضَبَ في وَجْهِهِ.

والحديث يدل على غيرة النبي(ﷺ) على نسائه، عندما يدخل على عَائِشَةَ (رضي الله عنها) وعندها رجل أجنبي فيتغير لونه حتى تعرف الكراهية في وجهه،

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح – كتاب – الحج – باب – الْحَجِّ عن الْعَاجِزِ لزمانه وَهَرَمٍ وَنَحْوِهِمَا أو لِلْمَوْتِ – ٩٧٣/٢ رقم (١٣٣٤) من طريق سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس به.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٩٨/٩.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح– النكاح – باب – من قال لَا رَضَاعَ بَعْدَ حَوْلَيْنِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) وما يُحَرِّمُ من قَلِيلِ الرَّضَاعِ وكثيره – ١٩٦١/٥ رقم (٤٨٤١)، ومسلم في الصحيح – كتاب– الرضاع – باب – إنما الرضاعة من المجاعة – ١٠٧٨/٢ رقم (١٤٥٥) من طريق مسروق عن عائشة به.

ويشتد عليه ذلك ثم يقول: تأملي وانظري من يصح أن يكون أخا في الرضاع، فليس كل رضاع يحرم.

قال العيني في عمدة القاري: ليس كل من أرضع لبن أمها يصير أخاً بل شرطه أن يكون من المجاعة أي الجوع أي الرضاعة التي تثبت بها الحرمة ما يكون في الصغر حتى يكون الرضيع طفلاً يسد اللبن جوعته وأما ما كان بعد البلوغ فلا يسدها اللبن ولا يشبعه إلاَّ الخبز.(١)

قال ابن حجر: تأملن ما وقع من ذلك هل هو رضاع صحيح بشرطه من وقوعه في زمن الرضاعة؟ ومقدار الارتضاع فإن الحكم الذي ينشأ من الرضاع إنما يكون إذا وقع الرضاع المشترط، ثم قال: قال المهلب: معناه انظرن ما سبب هذه الأخوة فإن حرمة الرضاع إنما هي في الصغر حتى تسد الرضاعة المجاعة.(٢)

ومن ذلك: حديث المغيرة (ﷺ) قالَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ: لو رأَيْتُ رَجُلًا مع امْرَأَتي لَضَرَبْتُهُ بالسَّيْفِ غَيْرُ مُصْفِحٍ عنْه، فَبَلَغَ ذلكَ رَسولَ اللهِ (ﷺ) فَقالَ: أَتَعْجَبُونَ مِن غَيْرَةِ سَعْدٍ، فَوَاللَّهِ لأَنَا أَغْيَرُ منه، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، مِن أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ، ما ظَهَرَ منها، وَما بَطَنَ، وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ، مِن أَجْلِ ذلكَ بَعَثَ اللَّهُ المُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللهِ، مِن أَجْلِ ذلكَ وَعَدَ اللَّهُ الجَنَّةَ.(٣)

هاهو سعد بن معاذ (ﷺ) يقول: لو رأيت رجلا مع إمرأتي ما انتظرت على ذلك شهودا بل أعاجله بالسيف، وزاد أن يكون الضرب بالحد لا بالعرض، والذي

(١) عمدة القاري للعيني ٢٠٦/١٣.

(٢) فتح الباري لابن حجر ١٤٨/٩.

(٣) سبق تخريجه في صـ (٢٤) رقم (٧٤).

يضرب بالحد إنما يقصد القتل مباشرة لا التأديب والزجر، فتعجب الناس من شدة غيرته حتى أنه كان مشهورا بذلك كما ورد في الروايات فأخبر النبي (ﷺ) بأنه أغير من سعد، والله أغير منه وتدل الروايات أن هذا القول من سعد (رضي الله عنه) إنما هو على سبيل المبالغة وشدة الغيرة فلا يجوز له أن يقيم الحد بغير إذن الإمام مع تحقق الشروط الموجبة لذلك.

قال النووي (رحمه الله): قال العلماء: الغَيْرَة بفتح الغين وأصلها المنع والرجل غيور على أهله أى يمنعهم من التعلق بأجنبى بنظر أو حديث أو غيره والغيره صفة كمال فأخبر (ﷺ) بأن سعدا غيور وأنه أغير منه وأن الله أغير منه (ﷺ) وأنه من أجل ذلك حرم الفواحش.([1])

وقال أيضا: الغيرة في حق الناس يقارنها تغير حال الانسان وانزعاجه وهذا مستحيل في غيرة الله تعالى، **ثم قال:** لا ينبغى لشخص أن يكون أغير من الله – تعالى– ولا يتصور ذلك منه فينبغى أن يتأدب الانسان بمعاملته (عز وجل) لعباده فإنه لا يعاجلهم بالعقوبة بل حذرهم وأنذرهم وكرر ذلك عليهم وأمهلهم فكذا ينبغى للعبد أن لا يبادر بالقتل وغيره في غير موضعه فإن الله – تعالى– لم يعاجلهم بالعقوبة مع أنه لو عاجلهم كان عدلا منه (عز وجل).([2])

ومن ذلك: حديث أُمِّ سَلَمَةَ (رضي الله عنها) أَنَّ النبي (ﷺ) كان عِنْدَهَا وفي الْبَيْتِ مُخَنَّثٌ فقال الْمُخَنَّثُ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ عبد اللَّهِ بن أبي أُمَيَّةَ إن فَتَحَ الله لَكُمْ الطَّائِفَ غَدًا أَدُلُّكَ على ابنة غَيْلَانَ فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ فقال النبي (ﷺ) لَا يَدْخُلَنَّ هذا عَلَيْكُنَّ.([3])

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣٢/١٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – النكاح – باب – ما يُنْهَى من دُخُولِ الْمُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ على الْمَرْأَةِ – ٢٠٠٦/٥ رقم (٤٩٣٧) من طريق زينب بنت أم أسلمة عن أم سلمة به.

وفي لفظ مسلم من حديث عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قالت: كان يَدْخُلُ على أَزْوَاجِ النبي (ﷺ) مُخَنَّثٌ فَكَانُوا يَعُدُّونَهُ من غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ قال: فَدَخَلَ النبي (ﷺ) يَوْمًا وهو عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ وهو يَنْعَتُ امْرَأَةً قال: إذا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ بِأَرْبَعٍ وإذا أَدْبَرَتْ أَدْبَرَتْ بِثَمَانٍ فقال النبي (ﷺ): ألا أَرَى هذا يَعْرِفُ ما ها هنا لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُنَّ قالت: فَحَجَبُوهُ.([1])

قلت: فدلت الروايات على شدة غيرة النبي (ﷺ) على أزواجه، ومنعه لهذا المخنث من الدخول عليهن، وقد ترجم له البخاري بقوله: باب ما ينهى من دخول المتشبهين بالنساء على المرأة فمنع النبي (ﷺ) هذا الذي يتكسر في كلامه ومشيته وأخلاقه وحركاته، وزاد مع ذلك قلة أدبه ونقص حيائه حينما وصف امرأة دخلت عليهن بقوله: إذا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ بِأَرْبَعٍ وإذا أَدْبَرَتْ أَدْبَرَتْ بِثَمَانٍ ومعناه "أنها عظيمة الخلق فإذا أدبربت رأيتها كالمكبة لعظم أردافها فقلت تمشي على أربع واذا أقبلت رأيتها كالمستلقية وتحرك منها ثدياها لعظمهما وارتفاعهما ومنكباها ورجلاها فكأنها بحركة هذه الست تمشي على ست".([2]) فكيف يدخل مثل هذا في بيت أشرف الخلق؟ فالمنع في حقه أولى، والحجب في شأنه أوجب، فيفهم من الحديث أن الحجب قد وقع منه (ﷺ) لذات المخنث، وكذل لما صدر منه وصف المرأة من غير حياء.

قال ابن حجر: قال المهلب: إنما حجبه عن الدخول إلى النساء لما سمعه يصف المرأة بهذه الصفة التي تهيج قلوب الرجال فمنعه لئلا يصف الأزواج للناس فيسقط معنى الحجاب.([3])

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح – كتاب – السلام – باب – مَنْعِ الْمُخَنَّثِ من الدُّخُولِ على النِّسَاءِ الْأَجَانِبِ – ١٧١٦/٤ رقم (٢١٨١) من طريق عروة عن عائشة به.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ١٧٣/٢.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٣٣٦/٩.

قلت: فهذا حجب ومنع لما صدر منه من وصف.

قال ابن حجر: وفي سياق الحديث ما يشعر بأنه حجبه لذاته أيضا لقوله: لا أرى هذا يعرف ما ها هنا، ولقوله: وكانوا يعدونه من غير أولى الأربة فلما ذكر الوصف المذكور دل على أنه من أولي الأربة فنفاه لذلك، ويستفاد منه حجب النساء عمن يفطن لمحاسنهن وهذا الحديث أصل في إبعاد من يستراب به في أمر من الأمور.(١)

قلت: وهذا حجب لذات الشخص منعا للافتتان به، واطلاعه على ما لا يطلع عليه غيره.

قال النووي (رحمه الله) قال العلماء: وإخراجه ونفيه كان لثلاثه معان أحدها المعنى المذكور فى الحديث أنه كان يظن أنه من غير أولى الاربة وكان منهم ويتكتم بذلك،والثانى وصفه النساء ومحاسنهن وعوراتهن بحضرة الرجال وقد نهى أن تصف المرأة المرأة لزوجها.(٢)

غَيْرَة أزواج النبي (ﷺ)

لا عجب أن من اصطفاهم الله من خلقه، واجتباهم ليكونوا أنبياءه ورسله، والواسطة بينه وبين خلقه أن يتصفوا بهذا الخلق العظيم خلق "الغيرة "، ولذا أمرنا الله – تعالى – بالاقتداء بهم، وموافقة أقوالهم وأفعالهم، ولذا كانت غيرة أزواج النبي (ﷺ) عليه، وغيرة أصحاب النبي (ﷺ) مع كون ذلك في الأصل صفة نفسية لكنه يزداد عند تأمل حال النبي (ﷺ) ومواقفه في هذا الخلق العظيم.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٣٣٦/٩.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦٣/١٤.

غَيْرَة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)

بالنظر في الأحاديث الصحيحة في السنة النبوية المطهرة نقف على كثير من المواقف الدالة على هذا الخلق، ويظهر من خلالها شدة حب أزواج النبي (ﷺ) له، والتنافس في الاستئثار به، وغيرة النساء شديدة، تحتاج لمن يحسن التعامل معها، ويقومها ويجعلها في نطاقها الصحيح، ولذا ترجم البخاري (رحمه الله) في صحيحه بابا سماه "غيرة النساء ووجدهن"، فكانت عائشة (رضي الله عنها) تغار حتى من الاسم فضلا عن القول والفعل.

ومن صور ذلك غَيْرتها من السيدة خديجة (رضي الله عنها): كما في حديث عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قالت: ما غِرْتُ على امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ (ﷺ) ما غِرْتُ على خَدِيجَةَ هَلَكَتْ قبل أَنْ يَتَزَوَّجَنِي لِمَا كنت أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا وَأَمَرَهُ الله أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ من قَصَبٍ وَإِنْ كان لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي في خَلَائِلِهَا منها ما يَسَعُهُنَّ.(١)

تغار على النبي (ﷺ) حتى من امرأة قد ماتت، وذلك بسبب كثرة ذكر النبي (ﷺ) لها، وسرده لفضائلها، وشدة الثناء عليها كما في لفظ مسلم في الصحيح "ما غِرْتُ لِلنَّبِيِّ (ﷺ) على امْرَأَةٍ من نِسَائِهِ ما غِرْتُ على خَدِيجَةَ لِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا وما رَأَيْتُهَا قَطُّ"(٢)، فدل ذلك على أن أصل الغيرة عند المرأة يأتي من تخيل محبة الزوج لغيرها أكثر منها، فتعتقد أنه (ﷺ) يحب خديجة أكثر من حبها

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – فضائل الصحابة – باب – تَزْوِيجِ النبي (ﷺ) خَدِيجَةَ وَفَضْلِهَا (رضي الله عنها) ١٣٨٨/٣ رقم (٣٦٠٥)، ومسلم في الصحيح – كتاب – فضائل الصحابة – باب – فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (رضي الله عنها) – ١٨٨٨/٤ رقم (٢٤٣٥) كلاهما من طريق عروة عن عائشة به.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح – كتاب – فضائل الصحابة – باب – فضل عائشة (رضي الله عنها) ١٨٨٩/٤ رقم (٢٤٣٥) من طريق عروة عن عائشة به.

لها ولذا حسدتها وصارت تعبر عن ذلك بألفاظ مثل: عجوز، وحمراء الشدقين، وغير ذلك من الألفاظ الدالة على شدة غيرتها منها.

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي معلقا: وفيه ثبوت الغيرة، وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلا عمن دونهن، وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي (ﷺ) لكن كانت تغار من خديجة أكثر، وقد بينت سبب ذلك وإنه لكثرة ذكر النبي (ﷺ) إياها وأصل غيرة المرأة من تخيل محبة غيرها أكثر منها، وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة.(١)

وقال ابن القيم في روضة المحبين: فانظر هذه الغيرة الشديدة على امرأة بعدما ماتت وذلك لفرط محبتها لرسول الله (ﷺ) كانت تغار عليه أن يذكر غيرها.(٢)

ومن صور غيرة عائشة (رضي الله عنها) من خديجة (رضي الله عنها): ما جاء في حديث عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قالت اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ على رسول اللَّهِ (ﷺ) فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ فقال: اللهم هَالَةَ قالت: فَغِرْتُ فقلت ما تَذْكُرُ من عَجُوزٍ من عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ في الدَّهْرِ قد أَبْدَلَكَ الله خَيْرًا منها.(٣)

سبحان الله! غارت (رضي الله عنها) ليس من امرأة حاضرة بنفسها، بل من مجرد ذكر النبي (ﷺ) لاسم أختها هالة، وردة فعله (ﷺ) وكأنه لم يوجد في الدنيا امرأة مثل

---

(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري ١٣٤/٦.

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم ٢٩٨/١، ٢٩٩.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب– فضائل الصحابة – باب – تَزْوِيجِ النبي (ﷺ) خَدِيجَةَ وَفَضْلِهَا (رضي الله عنها) ١٣٨٩/٣ رقم (٣٦١٠)، ومسلم في الصحيح – كتاب –فضائل الصحابة – باب– فضل عائشة (رضي الله عنها) ١٨٨٩/٤ رقم (٢٤٣٧) كلاهما من طريق عروة عن عائشة به.

خديجة، وتذكر النبي (ﷺ) لخديجة عند سماع صوتها لشبه صوتها بصوت أختها، فمن أحب شيئا أحب محبوباته وما يشبهه وما يتعلق به.

قال ابن حجر: قال عياض: قال الطبري وغيره من العلماء: الغيرة مسامح للنساء ما يقع فيها ولا عقوبة عليهن في تلك الحالة لما جبلن عليه منها ولهذا لم يزجر النبي (ﷺ) عائشة عن ذلك.(١)

قلت: وقد اجتهد العلماء في بيان سبب إعذار النبي (ﷺ) لعائشة (رضي الله عنها) إما لصغر سنها، أو أن الغيرة لا يحصل معها كمال العقل.

قال ابن حجر: قال عياض: إن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها وأول شبيبتها فلعلها لم تكن بلغت حينئذ، **وتعقب ابن حجر ذلك بقوله:** وهو محتمل مع ما فيه من نظر، ثم قال قال القرطبي: لا تدل قصة عائشة هذه على أن الغيرى لاتؤاخذ بما يصدر منها لأن الغيرة هنا جزء سبب وذلك أن عائشة اجتمع فيها حينئذ الغيرة وصغر السن والإدلال قال فإحالة الصفح عنها على الغيرة وحدها تحكم نعم الحامل لها على ما قالت الغيرة لأنها هي التي نصت عليها بقولها "فغرت "، وأما الصفح فيحتمل أن يكون لأجل الغيرة وحدها، ويحتمل أن يكون لها ولغيرها من الشباب والإدلال، **وتعقب ابن حجر ذلك بقوله:** الغيرة محققة بتنصيصها والشباب محتاج إلى دليل فإنه (ﷺ) دخل عليها وهي بنت تسع وذلك في أول زمن البلوغ فمن أين له أن ذلك القول وقع في أوائل دخوله عليها وهي بنت تسع، وأما إدلال المحبة فليس موجبا للصفح عن حق الغير بخلاف الغيرة فإنما يقع الصفح بها لأن من يحصل لها الغيرة لا تكون في كمال عقلها فلهذا تصدر منها أمور لاتصدر منها في حال عدم الغيرة والله أعلم.(٢)

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٤٠/٧.

(٢) السابق ١٤١/٧.

ومن صور غيرة عائشة (رضي الله عنها) من صفية (رضي الله عنها): ما جاء في حديث أَنَسٍ (رضي الله عنه) قال: كان النبي (ﷺ) عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فيها طَعَامٌ فَضَرَبَتْ التي النبي (ﷺ)في بيَتْهِا يدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ فَجَمَعَ النبي (ﷺ)فلِقَ الصَّحْفَةِ ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فيها الطَّعَامَ الذي كان في الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حتى أتى بِصَحْفَةٍ من عِنْدِ التي هو في بيتْهِا فدفَعَ الصَّحفَةَ الصَّحِيحَةَ إلى التي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ في بَيْتِ التي كَسَرَتْ.(١)

قلت: يظهر من خلال تتبع الروايات أن الأمر قد وقع مع صفية (رضي الله عنها) زوج النبي (ﷺ) وبإقرار عائشة (رضي الله عنها) لم تر صانعة طعام مثلها، وقد أهدت إلى النبي (ﷺ) في بيت عائشة (رضي الله عنها) فلم تتمالك نفسها، أو تضبط غيرتها، فكسرت الإناء، وعلى الرغم من ذلك لم تمنعها غيرتها من التوبة والندم والسؤال عن كفارة ذلك كما ورد في لفظ أحمد في المسند "من طريق جَسْرَةُ عن عَائِشَةَ أنها قالت: ما رأيت صانعة طَعَامٍ مِثْلَ صَفِيَّةَ أَهْدَتْ إلى النبي (ﷺ) إِنَاءً فيه طَعَامٌ فما مَلَكْتُ نفسي أن كَسَرْتُهُ فقلت يا رَسُولَ اللَّهِ: ما كَفَّارَتُهُ؟ فقال: إِنَاءٌ كَإِنَاءٍ وَطَعَامٌ كَطَعَامٍ.(٢) ففعل عائشة يدل على شدة الغيرة، وفعل صفية لا يقل أبدا عن فعل عائشة بل الإهداء في بيت الضرة دليل واضح على شدة غيرتها أيضا.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – النكاح – باب – الْغَيْرَةِ، وقال وَرَّادٌ عن الْمُغِيرَةِ قال سَعْدُ بن عُبَادَةَ: لو رأيت رَجُلًا مع امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غير مُصْفَحٍ فقال النبي (ﷺ) أَتَعْجَبُونَ من غَيْرَةِ سَعْدٍ لَأَنَا أَغْيَرُ منه وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي– ٢٠٠٣/٥ رقم (٤٩٢٧) من طريق حميد عن أنس به.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٤٨/٦ رقم (٢٥١٩٦) من طريق جسرة عن عائشة به.

قال ابن حجر: قال الطيبي: وإنما وصفت المرسلة بأنها أم المؤمنين إيذانا بسبب الغيرة التي صدرت من عائشة، وإشارة إلى غيرة الأخرى حيث أهدت إلى بيت ضرتها.(١)

قال ابن حجر مبينا كيف تعامل النبي (ﷺ) مع هذا الموقف: غارت أمكم اعتذار منه (ﷺ) لئلا يحمل صنيعها على ما يذم بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة فإنها مركبة في النفس بحيث لا يقدر على دفعها.(٢)

ومن صور غيرة عائشة (رضي الله عنها) من حفصة (رضي الله عنها): ما جاء في حديث عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قالت: كان رسول اللَّهِ (ﷺ) إذا خَرَجَ أقرع بين نِسَائِهِ فَطَارَتْ الْقُرْعَةُ على عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ فَخَرَجَتَا معه جميعا، وكان رسول اللَّهِ (ﷺ) إذا كان بِاللَّيْلِ سَارَ مع عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ مَعَهَا فقالت حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: أَلا تَرْكَبِينَ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي واركب بَعِيرَكِ فَتَنْظُرِينَ وأنظر قالت: بَلَى فَرَكِبَتْ عَائِشَةُ على بَعِيرِ حَفْصَةَ وَرَكِبَتْ حَفْصَةُ على بَعِيرِ عَائِشَةَ فَجَاءَ رسول اللَّهِ (ﷺ) إلى جَمَلِ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةُ فَسَلَّمَ ثُمَّ سَارَ مَعَهَا حتى نَزَلُوا فَافْتَقَدَتْهُ عَائِشَةُ فَغَارَتْ فلما نَزَلُوا جَعَلَتْ تَجْعَلُ رِجْلَهَا بين الإذخر وَتَقُولُ: يا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أو حَيَّةً تَلْدَغُنِي رَسُولُكَ ولا أَسْتَطِيعُ ان أَقُولَ له شيئا.(٣)

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٢٦/٥.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – النكاح – باب – الْقُرْعَةِ بين النِّسَاءِ إذا أَرَادَ سَفَرًا – ١٩٩٩/٥ رقم (٤٩١٣)، ومسلم في الصحيح – كتاب – فضائل الصحابة – باب– فضل عائشة (رضي الله عنها) ١٨٩٤/٤ رقم (٢٤٤٥) كلاهما من طريق القاسم بن محمد عن عائشة به.

وصل الحال إلى هذه الدرجة أن تدعو على نفسها أن يسلط عليها عقربا أو حية تلدغها غيرة من حوار وحديث دار بينه (ﷺ) وبين زوجه حفصة، وقد جعلت ما رضيت به من مبادلة يصل إلى حد الجناية التي تستحق العقوبة.

قال ابن حجر (رحمه الله): وافتقدته عائشة أي حالة المسايرة لأن قطع المألوف صعب قوله فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر كأنها لما عرفت أنها الجانية فيما أجابت إليه حفصة عاتبت نفسها على تلك الجناية والإذخر نبت معروف توجد فيه الهوام غالبا في البرية.([1])

قلت: والأحاديث في غيرة السيدة عائشة (رضي الله عنها) كثيرة لا يتسع لها المقام، ولكن ذكرت ما يدل على الأصل، وما وقع منها مع غيرها إنما هو دليل على ثبوت الغيرة في حق من غارت منهن أيضا والأحاديث تشهد لذلك.

غيرة أم سلمة (رضي الله عنها)

ويشهد لذلك حديث أُمِّ سَلَمَةَ ان أَبَا سَلَمَةَ لَمَّا تُوُفِّيَ عنها وانْقَضَتْ عِدَّتُهَا خَطَبَهَا رسول اللَّهِ (ﷺ) فقالت يا رَسُولَ اللَّهِ: إن في ثَلَاثَ خِصَالٍ أنا امْرَأَةٌ كَبِيرَةٌ فقال رسول اللَّهِ (ﷺ): أنا أَكْبَرُ مِنْكِ قالت: وأنا امْرَأَةٌ غَيُورٌ قال: أَدْعُو اللَّهَ (عز وجل) فَيُذْهِبُ عَنْكِ غَيْرَتَكِ قالت يا رَسُولَ اللَّهِ: وأنا امْرَأَةٌ مُصْبِيَةٌ قال هُمْ إلى اللَّهِ وإلى رَسُولِهِ قال: فَتَزَوَّجَهَا رسول اللَّهِ (ﷺ) قال فَأَتَاهَا فَوَجَدَهَا تُرْضِعُ فَانْصَرَفَ ثُمَّ أَتَاهَا فَوَجَدَهَا تُرْضِعُ فَانْصَرَفَ قال فَبَلَغَ ذلك عَمَّارَ بن يَاسِرٍ فَأَتَاهَا فقال: حُلْتِ بين رسول اللَّهِ (ﷺ)وبَيْنَ حاجَتِهِ هلُمَّ الصَّبِيَّةَ قال فَأَخَذَهَا فَاسْتَرْضَعَ لها فَأَتَاهَا رسول اللَّهِ (ﷺ) فقال: أَيْنَ زُنَابُ يَعْنِى زَيْنَبَ قالت يا رَسُولَ اللَّهِ: أَخَذَهَا عَمَّارٌ فَدَخَلَ بها وقال: إن بِكِ على أَهْلِكِ كَرَامَةً قال: فَأَقَامَ عِنْدَهَا إلى العشي ثُمَّ قال: إن شئت

(١) فتح الباري لابن حجر ٣١١/٩.

سبعت لك وإن سبعت لك سبعت لسائر نسائي وإن شئت قسمت لك قالت:لا بل اقسم لي.([1])

غيرة صحابة النبي (ﷺ)

بالنظر في الأحاديث الصحيحة يظهر لنا الكثير من المواقف والأحداث التي وقعت من الصحابة الكرام تدل على هذا الخلق العظيم، والذي كما قلت هو فطرة وأمر نفسي ابتداء وكذلك يطبقونه اقتداء بالنبي (ﷺ)، وتأسيا به حرصا على رضا الله – تعالى – وطلبا لمرضاته.

ومن ذلك: غيرة الصديق (رضي الله عنه) على رسول الله (ﷺ)

حديث الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ (رضي الله عنه) في قول عُرْوَةُ بن مسعود الثقفي لرسول الله (ﷺ) في الحديبية: أَيْ محمد أَرَأَيْتَ إن اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هل سَمِعْتَ بِأَحَدٍ من الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنِّي والله لَأَرَى وُجُوهًا وَإِنِّي لَأَرَى أشوابا([2]) من الناس خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ، فقال له أبو بَكْرٍ: امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ أَنَحْنُ نَفِرُّ عنه وَنَدَعُهُ؟ فقال: من ذَا؟ قالوا: أبو بَكْرٍ، قال: أَمَاوَالَّذِي نَفْسِي بيده لَوْلَا يَدٌ كانت لك عِنْدِي لم أَجْزِكَ بها لَأَجَبْتُكَ.([3])

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٢٠/٦ رقم (٢٦٧٦٤) من طريق عبد العزيز بن بنت أم سلمة عن أم سلمة به.

(٢) أشوابا: وشب: الأوشاب الأخلاط من الناس، والأوباش واحدهم وشب يقال بها أوباش من الناس و أوشاب من الناس وهم الضروب المتفرقون. لسان العرب لابن منظور ٧٩٦/١، تاج العروس للزبيدي ٣٤٣/٤، مختار الصحاح للرازي ٣٠١/١.

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – الشروط – باب – الشُّرُوطِ في الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مع أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ – ٩٧٥/٢، ٩٧٦ رقم (٢٥٨١) من طريق عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة به.

موقف من أعظم المواقف التي يظهر فيها خلق الغيرة على رسول الله (ﷺ) أن ينال من مقامه في وجود الصديق أبي بكر (رضي الله عنه) فيخرج عن صمته، ويظهر لعروة بن مسعود الثقفي وجها لم يره منه قبل ذلك، بل وينطق بما يستبشع من ألفاظ لم تعهد عنه مبالغة في الزجر، وتأديبا له بما يستحق، وتخسيسا لعدوه، وتكذيبا لما قال.

قال ابن حجر (رحمه الله): وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار وفيه جواز النطق بما يستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك.(١)

ومن ذلك: غيرة الصديق (رضي الله عنه) على زوجه أسماء بنت عميس (رضي الله عنها)

ما رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن عَبْدَ اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ (رضي الله عنهما) أَنَّ نَفَرًا من بَنِي هَاشِمٍ دَخَلُوا على أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ فَدَخَلَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَهِيَ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ فَرَآهُمْ فَكَرِهَ ذلك فذكر ذلك لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وقال: لم أَرَ إلا خَيْرًا فقال رسول اللَّهِ (ﷺ): إِنَّ اللَّهَ قد بَرَّأَهَا من ذلك ثُمَّ قام رسول اللَّهِ (ﷺ) على الْمِنْبَرِ فقال: لَا يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ بَعْدَ يَوْمِي هذا على مُغِيبَةٍ إلا وَمَعَهُ رَجُلٌ أو اثْنَانِ.(٢)

يغيب الصديق عن بيته ثم يرجع فيدخل على زوجه أسماء بنت عميس وقد دخل عليها نفر من بني هاشم، ومع أنه لم ير إلا خيرا إلا أن الغيرة تتحرك في

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٥/٣٤٠.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح – كتاب – السلام – باب – تَحْرِيمِ الْخَلْوَةِ بِالْأَجْنَبِيَّةِ وَالدُّخُولِ عليها – ٤/١٧١١ رقم (٢١٧٣) من طريق عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص به.

قلبه، وتهيج غضبه، ويشتد كرهه لذلك، ولم يتمالك نفسه إلا أن يخبر بذلك رسول الله (ﷺ) فيطمئنه الوحى أن الله برأها، ومع ذلك لم يترك النبي (ﷺ) هذا الموقف إلا وبيَّن ما يستفاد منه فلا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة ؛صيانة للأعراض، وحفاظا على الأنساب، ومنعا من الريبة والشك.

قال النووي (رحمه الله): المغيبة – بضم الميم وكسر الغين المعجمة وإسكان الياء – وهى التى غاب عنها زوجها، والمراد غاب زوجها عن منزلها سواء غاب عن البلد بأن سافر أو غاب عن المنزل وإن كان فى البلد، **ثم قال:** قال القاضي: ودليله هذا الحديث وأن القصة التى قيل الحديث بسببها وأبو بكر (رضي الله عنه) غائب عن منزله لاعن البلد والله أعلم، ثم إن ظاهر هذا الحديث جواز خلوة الرجلين أو الثلاثة بالأجنبية والمشهور عند أصحابنا تحريمه فيتأول الحديث على جماعة يبعد وقوع المواطأة منهم على الفاحشة لصلاحهم أو مروءتهم أوغير ذلك.([1])

غيرة الفاروق عمر (رضي الله عنه) وشهادة النبي (ﷺ) له بهذا الخلق.

كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) – قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رسول اللَّهِ (ﷺ) جُلُوسٌ فقال رسول اللَّهِ (ﷺ): بَيْنَمَا أنا نَائِمٌ رأَيْتُنِي في الْجَنَّةِ فإذا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إلى جَانِبِ قَصْرٍ فقلت لِمَنْ هذا؟ قالوا: هذا لِعُمَرَ فَذَكَرْتُ غيرته فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا فَبَكَى عُمَرُ وهو في الْمَجْلِسِ ثُمَّ قال: أو عليك يا رَسُولَ اللَّهِ أَغَارُ.([2])

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم١٤/١٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – النكاح – باب – الْغَيْرَةِ وقال وَرَّادٌ عن الْمُغِيرَةِ قال سَعْدُ بن عُبَادَةَ لو رأيت رَجُلًا مع امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غير مُصْفَحٍ فقال النبي (ﷺ) أَتَعْجَبُونَ من غَيْرَةِ سَعْدٍ لَأَنَا أَغْيَرُ منه وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي– ٥/٢٠٠٤ رقم (٤٩٢٩) من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة به، وكتاب– المناقب– باب – مناقب عمر بن الخطاب – ٣/١٣٤٦ رقم (٣٤٧٦) من طريق محمد المنكدر عن جابر بن عبد الله به.

شهادة لا تعدلها شهادة أن يشهد النبي (ﷺ) لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بأنه غيور حتى صار ذلك معروفا من صفاته، وجليا من أخلاقه.

قال ابن بطال (رحمه الله): فيه الحكم لكل رجل بما يعلم من خلقه، وبكاء عمر يحتمل أن يكون سرورا، ويحتمل أن يكون تشوقا، أو خشوعا.([1])

وقال ابن حجر (رحمه الله): وفيه ما كان عليه النبي (ﷺ) من مراعاة الصحبة وفيه فضيلة ظاهرة لعمر.([2])

ومن صور ذلك: غيرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على رسول الله (ﷺ)

عندما أذكر هذه الصور لا أقصد أن من ذكرتهم فقط هم من كانوا يتصفون بهذا الخلق من الصحابة الكرام، فكلهم على نفس الصفة، دفاعا عن النبي (ﷺ)، وحماية لجنابه.

ومن ذلك حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ (رضي الله عنه) قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رسول اللَّهِ (ﷺ) وهو يَقْسِمُ قِسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وهو رَجُلٌ من بَنِي تَمِيمٍ فقال يا رَسُولَ اللَّهِ: اعْدِلْ فقال وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ؟ قد خِبْتَ وَخَسِرْتَ إن لم أَكُنْ أَعْدِلُ فقال عُمَرُ: يا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لي فيه فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فقال: دَعْهُ فإن له أَصْحَابًا يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ يقرؤون الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ.([3])

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٤٥/٧.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – المناقب – باب – علامات النبوة في الإسلام – ١٣٢١/٣ رقم (٣٤١٤)، ومسلم في الصحيح – كتاب – الزكاة – باب – ذكر الخوارج وصفاتهم – ٧٤٤/٢ رقم (١٠٦٤) كلاهما من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري به.

يظهر في الحديث نموذجان متباينان، نموذج للود والمحبة والألفة والغيرة يتمثل في شخص عمر بن الخطاب (ﷺ)، ونموذج آخر للجفاء والانحراف والبغض القلبي يتمثل في هذا المنافق من بني تميم، نموذج يقدر النبي (ﷺ) حق قدره، ونموذج يعيب ويطعن، وشتان شتان بين النموذجين.

ومن ذلك: حديث أَنَس بن مالك (ﷺ) قال: قال عُمَرُ وَافَقْتُ رَبِّي في ثَلَاثٍ فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ لو اتَّخَذْنَا من مَقَامِ إبراهيم مُصَلًّى فَنَزَلَتْ (وَاتَّخِذُوا من مَقَامِ إبراهيم مُصَلًّى)، وَآيَةُ الْحِجَابِ قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ لو أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فإنه يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النبي (ﷺ) في الْغَيْرَةِ عليه فقلت لَهُنَّ (عَسَى رَبُّهُ إن طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ) فَنَزَلَتْ هذه الْآيَةُ.(١)

غيرة عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)

ومن ذلك: أن ابن عمر مر براهب فقيل: إن هذا سب النبي (ﷺ) فقال: لو سمعته لضربت عنقه إنا لم نعطهم العهد على أن يسبوا نبينا (ﷺ).(٢)

غيرة الزبير بن العوام (رضي الله عنه)

ومن ذلك: حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ أبي بَكْرٍ (رضي الله عنهما) – قالت: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وما له في الأرض من مَالٍ ولا مَمْلُوكٍ ولا شَيْءٍ غير نَاضِحٍ وَغَيْرَ فَرَسِهِ فَكُنْتُ أَعْلِفُ

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – الصلاة – باب – ما جاء في الْقِبْلَةِ وَمَنْ لا يرى الْإِعَادَةَ على من سَهَا فَصَلَّى إلى غَيْرِ الْقِبْلَةِ – ١٥٧/١ رقم (٣٩٣)، و– كتاب – التفسير – باب – قوله تعالى –عسى ربه إن طلقكن – ١٨٦٩/٤ رقم (٤٦٣٢) من طريق حميد عن أنس به.

(٢) أخرجه الحارث في المسند – كتاب – الحدود والديات – باب – فيمن سب النبي (ﷺ) – ٥٦١/٢ رقم (٥١٠) من طريق حصين بن عبد الرحمن عن ابن عمر به.

فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ وَأَخْرِزُ غربة وَأَعْجِنُ ولم أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ وكان يَخْبِزُ جَارَاتٌ لي من الْأَنْصَارِ وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى من أَرْضِ الزُّبَيْرِ التي أَقْطَعَهُ رسول اللَّهِ (ﷺ) على رَأْسِي وَهِيَ مِنِّي على ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى على رَأْسِي فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) وَمَعَهُ نَفَرٌ من الْأَنْصَارِ فَدَعَانِي ثُمَّ قال: أخ أخ لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مع الرِّجَالِ وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ وكان أَغْيَرَ الناس فَعَرَفَ رسول اللَّهِ (ﷺ) أَنِّي قد اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فقلت لَقِيَنِي رسول اللَّهِ (ﷺ) وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى وَمَعَهُ نَفَرٌ من أَصْحَابِهِ فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ فَاسْتَحْيَيْتُ منه وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ فقال: والله لَحَمْلُكِ النَّوَى كان أَشَدَّ عَلَيَّ من رُكُوبِكِ معه قالت: حتى أَرْسَلَ إليّ أبو بَكْرٍ بَعْدَ ذلك بِخَادِمٍ يكفيني سِيَاسَةَ الْفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي.(١)

من بيت الكرام يكون هذا الموقف من أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) وهي تحكي حالها مع زوجها الزبير بن العوام (رضي الله عنه) ولم يكن له مال فيشتري لها خادما، ولا مملوك يكفيها مشقة العمل، فكانت تعلف فرسه، وتعجن قدر ما تستطيع دون ان تحسن ذلك على الوجه الأكمل، ويقبل عليها نبي الرحمة (ﷺ) فيشفق عليها مما تجده من حمل النوى على رأسها فأناخ لها لتركب، ولكنها تعرف ما يحب زوجها وما يكره، تطلع على ما يرضيه ويغضبه، فتذكر غيرة زوجها فقد تركب فينكشف منها شيء، أو يحدث زحام ومخالطة رجال في الطريق فتمتنع، والنبي (ﷺ) يدرك السبب الذي منعها من الركوب فيتركها.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب – النكاح – باب – الْغَيْرَةِ وقال وَرَّادٌ عن الْمُغِيرَةِ قال سَعْدُ بن عُبَادَةَ لو رأيت رَجُلًا مع امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غير مُصْفَحٍ فقال النبي (ﷺ) أَتَعْجَبُونَ من غَيْرَةِ سَعْدٍ لَأَنَا أَغْيَرُ منه وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي – ٢٠٠٢/٥ رقم (٤٩٢٦)، ومسلم في الصحيح – كتاب– السلام – باب – جَوَازِ إِرْدَافِ الْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ إذا أَعْيَتْ في الطَّرِيقِ – ١٧١٦/٤ رقم (٢١٨٢) كلاهما من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء به.

لم ينته الموقف عند ذلك فتقص على زوجها ما كان من مراعاة حقه، وتقدير غيرته عليها، تعظيما له، وإجلالا لقدره، فكان الجواب منه ما يدل على شدة حبه، وعظم ميل قلبه، وأن حملها النوى أشد عليه من ركوبها.

قال ابن حجر (رحمه الله): أشار إليها الزبير أن ركوبها مع النبي (ﷺ) لا ينشأ منه كبير أمر من الغيرة لأنها أخت امرأته فهي في تلك الحالة لا يحل له تزويجها إن لو كانت خلية من الزوج، فما بقي إلا احتمال أن يقع لها من بعض الرجال مزاحمة بغير قصد وأن ينكشف منها حالة السير ما لا تريد انكشافه ونحو ذلك، وهذا كله أخف مما تحقق من تبذلها بحمل النوى على رأسها من مكان بعيد لأنه قد يتوهم خسة النفس ودناءة الهمة وقلة الغيرة ولكن كان السبب الحامل على الصبر على ذلك شغل زوجها وأبيها بالجهاد وغيره مما يأمرهم به النبي (ﷺ) ويقيمهم فيه وكانوا لا يتفرغون للقيام بأمور البيت بأن يتعاطوا ذلك بأنفسهم ولضيق ما بأيديهم على استخدام من يقوم بذلك عنهم فانحصر الأمر في نسائهم فكن يكفينهم مؤنة المنزل ومن فيه ليتوفروا هم على ما هم فيه من نصر الإسلام مع ما ينضم إلى ذلك من العادة المانعة من تسمية ذلك عارا محضا.(١)

والنماذج والصور كثيرة لا يتسع لها المقام في تخلق الصحابة الكرام بهذا الخلق العظيم، ولكن ذكرت أشهرها مما يدل على الأصل وثبوته وليس على سبيل الحصر.

(١) فتح الباري لابن حجر ٣٢٣/٩ وما بعدها.

الخَاتِمَةُ

وكان من أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- أساس الأخلاق قوة نفسية، وصفة داخلية، وليس الأمر مجرد صورة حسية، بل هي هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال جميلها وقبيحها.
- على الرغم من كون الأخلاق نفسية داخلية ابتداء إلا أن أثرها على السلوك قولا وعملا ظاهر واضح.
- الإسلام دين شامل في تشريعاته وأحكامه، ولا تنفك أحكامه عن حركة الكون بما فيه ويظهر ذلك من خلال ارتباط الأخلاق بالعبادات والمعاملات والسياسة والحكم والاقتصاد والتجارة والأسرة والتربية.
- من الوسائل المعينة على الغيرة الابتعاد عن أسباب ضعفها مثل المعاصي والذنوب والانخداع بأنماط معينة تختلف عن أنماط الشرع، وضعف شخصية صاحب القوامة والانغماس في الشهوات مما يزيد من الدياثة، والنظر إلى الغيرة على أنها رجعية وتسلط وتخلف لا يعد من الشرع في شيء.
- الغيرة تأتي على أقسام متعددة كما ذكر في ثنايا البحث منها الغيرة للمحبوب: وهي الحَمِيَّة له والغضب له إذا استهين بحقه وانتقصت حرمته وهي غيرة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم.
- ومنها الغيرة على المحبوب وهي أنفة المحب وحميته أن يشاركه في محبوبه غيره، وهذه أيضا نوعان: غيرة المحب أن يشاركه غيره في محبوبه، وغيرة المحبوب على محبه أن يحب معه غيره.

- ومنها غيرة العبد على محبوبه فتنقسم إلى قسمين: غيرة محمودة يحبها الله، وغيرة مذمومة يبغضها الله، فالغيرة المحمودة هي التي تكون تبعا لريب أو شك مع توفر أسبابه ووجود دواعيه، والغيرة المذمومة هي التي تكون في غير ريبة، وقد زادت عن الحد المحمود، وييندفع صاحبها خلفها تبعا لسوء الظن.
- القدوة العملية أعظم أثرا من غيرها، فهي تصيب من قلوب الناس أكثر مما تصيب الكلمة مهما كانت الكلمة جيدة وطيبة ومؤثرة، ويظهر ذلك من خلال النماذج المذكورة في البحث.

المَصَادِرُ وَ المَرَاجِعُ

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: كتب اللغة

- **أساس البلاغة** لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر - ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

- **الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)**، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

- **تاج العروس من جواهر القاموس** لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار النشر: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.٤- **التعريفات** لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي بيروت - ١٤٠٥هـ، الطبعة الأولى تحقيق: إبراهيم الأبياري.

- **لسان العرب** لمحمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر بيروت، الطبعة: الأولى

- **مختار الصحاح** لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م تحقيق: محمود خاطر.

- **معجم مقاييس اللغة**، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار النشر: دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

ثانيا: كتب الحديث والشروح

- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، دار النشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري

- **الجامع الصحيح** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري / ط دار ابن كثير واليمامة – بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

- **الجامع للترمذي** لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت–، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

- **السنن الكبرى** لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١هـ – ١٩٩١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان

- **المجتبى من السنن** لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

- **المستدرك على الصحيحين** لمحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

- **المسند الصحيح** لأبي الحسين مسلم بن الحجاج / ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

- **المعجم الأوسط**، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار النشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر** لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي
- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، تأليف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- **سنن أبي داود** لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، دار النشر: دار الفكر تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- **سنن البيهقي الكبرى** لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، دار النشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
- **شرح السنة**، تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، دار النشر: المكتب الإسلامي - دمشق _ بيروت - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش.
- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان** لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- **صحيح مسلم بشرح النووي** لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢هـ، الطبعة: الطبعة الثانية.

- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير** لعبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ١٣٥٦هـ، الطبعة: الأولى.
- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: جمال عيتاني.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** لأحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة – مصر.
- **مسند الحارث** والمعروف ببغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تأليف: الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي، دار النشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة – ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري.
- **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان** لعلي بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة.

ثالثا: كتب أخرى

- **إحياء علوم الدين** لمحمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار النشر: دار المعرفة – بيروت.

- **اعتلال القلوب:** تأليف: محمد بن جعفر بن محمد الخرائطي، دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ٢٠٠١م، تحقيق: حمدي الدمرداش.

- **إعلام الموقعين عن رب العالمين** لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣م، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

- **الأخلاق،** تأليف: أحمد أمين، دار النشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ١٩٢٩م.

- **التحرير والتنوير،** تأليف: محمد بن الطاهر بن عاشور، دار النشر: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي** (الداء والدواء) لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

- **الآداب الشرعية والمنح المرعية** لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - **الذريعة إلى مكارم الشريعة،** تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٠٨م، بيروت - لبنان.

- **الاستقامة،** تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار النشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة - ١٤٠٣هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

- **تهذيب الأخلاق في التربية،** تأليف: أحمد بن محمد بن يعقوب ين مسكويه، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق: عماد الهلالي.

- **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، تأليف: الراغب الأصفهاني، دار النشر: دار القلم- الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.

الفهرس العام

م	الموضوع	الصفحة
١	الملخص عربي	٢٥١٣
٢	الملخص إنجليزي	١٥١٥
٣	المقدمة	٢٥١٧
٤	المبحث الأول: (الأخلاق – تعريفها وارتباطها بغيرها)	٢٥٢٤
٤	المبحث الثاني: (الغيرة، تعريفها، حث الإسلام عليها، أقسامها)	٢٥٤٠
٥	المبحث الثالث: (الغيرة نماذج وصور)	٢٥٥٠
٦	الخاتمة	٢٥٧٢
٧	المصادر والمراجع	٢٥٧٤
٨	الفهرس العام	٢٥٨٠